

## الذات بين الضوء والمصباح دراسة إبستمولوجية في إشكاليات النص وتعددية القراءة في رحاب الدرس اللساني الحديث

أ.م.د. عماد جبار كاظم داود العميري

جامعة واسط. كلية التربية للعلوم الإنسانية

### ملخص البحث:

إن الاختلاف في إمساك موضوع النص مفهوماً وحداً، لا يعني . في تصوُّري الياسير . أنه انشغال بلا قيم، أو دعوة بلا هدف، بل يعني انشغال المعرفة واتساعها في مركزية ذات تتشظى على أفلاك التاريخ الإنساني، تترجمها إشارات وعلامات ودلالات مختلفة في ضوء أنظمة القيم. وإذا كانت المعرفة تنطلق من دائرة تشترك بين مظهر ومضمّر، من ذاتٍ وشيءٍ وعلاقة على نحو مبادعة ومقاربة، ثم إدراك وممارسة وتواصل وفعل وقصد . بحسب مرجعية "من عرّف نفسه". فإنها لا محالة تبدو ألقاً ودلالةً في كلِّ مفاصل الوجود، والنص إنما يكون فيها ولها على نحو بيان وتبيين، وهو، بالضرورة، شاهد عليها في النظر والقراءة والفكر والتأويل.

### The Entity between Light and Lamp Epistemological Study of the Problems of the Text and the Plurality of Reading In the Linguistical Modern Lesson

Assistant Professor Emad Jabbar Kadhem Dawood Al-Omairi  
Wasit University - College of Education for Human sciences

### Abstract:

The difference in the grasp of the subject of the text ,the concept and the limit does not mean, in my conception, that it is a preoccupation with no values, or a call without purpose, but rather the engagement and expansion of the knowledge the in a centralized of the entity that fragmentizes on orbits of human history, translated by different signals, signs and connotations in the light of value systems. If knowledge proceeds from a circle that shares a manifestation and an atrophy of a subject, from entity , thing and a relationship in a way that is spaced and convergent, then it is perceived, practiced, communicated, acted and intended - according to the reference of "who knew himself" - it inevitably seems to be shining and meaningful in all joints of existence, and the text is in it and to it in the way that it is a clarity and clarification, which, necessarily, witnessed in looking and reading, thought and interpretation.

## المقدمة

في خضم الثقافات المتعددة، والقراءات المختلفة يتجلى النص مصباحاً، يمدّه زيتٌ بتكوين، يُوقد من شجرة، كلُّ قطرة منه، تمثّل مجالاً معرفياً متداخلاً للعلامات، متشابك السّمات، تقودها مرجعيّات وخلفيّات متباينة متضاربة، ليؤسس لنفسه من بعد، وفي توكيد منهجيّ لغرض وهدف، نصّاً واصفاً لذات، وهي بدورها إذ تتعكس ظلاً، قد يطول خبره، وقد يقصره أمره، بحسب القرب والبعد منه، تُترجمُ قراءةٌ يمثلها ضوءٌ ينتشر في فضاء الإرسال والتلقّي، وهكذا بين ذاتٍ ومصباح نصّ، في ضوء قراءة، تكون المعاني والدلالات والمقاصد والتأويلات والتواصل والإبلاغيّات جاريةً على ساق، قد يبني منه قارئاً رآياً، وقد يتبناه سواه، وقد يكسره آخر، وبين هذا وذاك، يبقى التفسير محاولةً لفهم واستيعاباً لموقف، وربّما أثراً في سلوك وإنجاز.

أقول، والتأمل يحدو بي إلى بحر، من منّا لم يلاحظ ما في المرجعيّات الأصوليّة والمعطيات الثقافيّة من سُبُل وألويّات في منهجيّات التكوين عند الإرادة والشروع في كتابة فكر أو تجسيد قراءة، في "صحيفة" بشر بن المعتمر "ت ٢١٠هـ"، مثلاً: "خُذ من نفسك ساعةً نشاطك وفراغ بالِك وإجابته إِيّاك، فإنّ قليل تلك الساعة أكرم جوهراً، وأشرف حساباً، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطاء..."<sup>(١)</sup>. حتّى غدت دستوراً يأخذ بالذات إلى رحابٍ في تخطيط قلم، أو تسويد ورقة، ومحو بياض بإملاء يسبقه تدبّر.

ومن منّا لم يقف على قراءة ما أرسل إلى العماد الأصفهاني "ت ٥٩٧هـ"، من قول: "إني رأيتُ أنّهُ ما كتَبَ أحدهم في يومِهِ كتاباً إلا قال في غَدِهِ، لو غَيَّرَ هذا لكانَ أحسن، ولو زُيِّدَ ذلك لكانَ يُستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكانَ أفضل، ولو تُرِكَ ذلك لكانَ أجمل، وهذا من أعظم العيبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جُملة البشر"<sup>(٢)</sup>.

وهل خلق الله "سبحانه تعالى" الإنسان بعين واحدة؟! ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿وَلَسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾<sup>(٩)</sup> ﴿٣﴾، وعلى الزعم ممّا لهما من قدرة نظر، وإمكان نفاذ إلى قراءة؛ للإحاطة والعلم، هل لهما أن تقهما كلّاً بلا جزء، أو جزءاً من غير فهمٍ لكل؟!، أو هل لمن يملك ذلك أن يعالج نصّاً؛ إخراج قراءةٍ من غير معرفةٍ لعالم! ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهنا أريد أن أقف، في هذه الوريقات اليسيرة، على إشكاليّات مثّلت نفسها مصباحاً، وأخرى ضوءاً، حاملاً هاجسي على قراءة مجالات ومداخل في مفاهيم النصّ؛ وأعيش في أروقة قراءات أخرى<sup>(٥)</sup>، ثمّ أطرح ما كنتُ فيه متلقياً، في حبّ معرفة، لتكوين مقدّمة ودراسة معرفيّة إبستمولوجيّة تتّصف

أسسها منهجاً على مبحثين: الأول في إشكالية النَّصّ . جهازه المفاهيمي المتكوتر، في نظر الدرس اللساني الحديث، وأمّا المبحث الثاني، ففي أصول القراءة وفعاليتها الإجرائية في خلق النَّصّ، وفكّ شفراته التكوينية اللغوية والدلالية والتواصلية إلى الإنتاج والإبداعية. تاركاً مجال النتائج إلى تلقّي القارئ الكريم نفسه، وإن كان ذلك خلافاً لاعتقاد منهج البحث، لظني أنّ ما يكون نتيجة مهمّة في نظر، رُبّما ليست هي كذلك في قراءة أخرى، وهكذا، على نحو الانفتاح...  
وبعد أقول: في مطلبي رجاء أن أكون قد وفّقت في بعض من رأيي، وطرح من مبدأ، ملتصقاً عفوّ من يلحظ خطأ، أو يصادف تصوّراً ساذجاً منّي لا يرقى إلى فهم، والله حسبي ونعم الوكيل.

### المبحث الأول

في إشكالية النَّصّ . تنقيب ونظر . الأصول والمقدمات نحو نواقل المعرفة/المعنى القصدي ومقارباته:

#### . إشكالية النَّصّ . جدل الإطلاق والتقييد:

وقّرت في خلد الدارسين: متعيّن النّظر العربي<sup>(١)</sup> منه، والغربي<sup>(٢)</sup>، جملة من الإشكاليّات: التساؤلات، والأفكار المعقّدة في المفهوم والإجراء والتكوين، أسساً ونقداً، التي اكتفت محورية النَّصّ Text .، تجنيسه: أصنافه وأوصافه المتعدّدة . على عموم مناقضاتهم واتجاهاتهم وتوجهاتهم المختلفة في الدرس اللساني، والأسلوبية، والأدبي، والسيميائي، والتداولي، والأصولي، والفلسفي، والمنطقي، والنّفسي، والإدراكي منه، والاجتماعي؛ بوصفه "النّص": كلاً . منتهى التركيبيّة، والدلالية، والتواصلية . يتولّف من أجزاء فعلاً وقوّة، متضمّناً، بالضرورة والاقتضاء، رسالة ما، قائماً على نحو من قصدٍ وتواصل وإبلاغ، يتجاوز أحادية الدال إلى ثنائيات الدلالة.

فتوجّهوا؛ مقارنة، شطر مفاهيم أخرى على نحو مفارقة؛ امتياز التكوين المعرفي وعموم نظريات قراءة التراث "الجهاز المفاهيمي" في فعل القراءة والفهم والتفسير . "هزمينوطيقاً"<sup>(٣)</sup>، وبحسب الإطار الموضوعي المرصود، منها . أعني من هذه المفاهيم والتسميات اللسانية الأحادية والثنائية، المتداخلة الهويات .: "الجملة"، و"القول"، و"القضية"، و"الحدث"، و"التركيب"، و"الكلام"، و"التأليف"، و"اللسان"، و"السياق"، و"التلفظ"، و"الفقرة"، و"العبارة"، و"المتن"، و"الخطاب"، و"خطاب النَّصّ"، و"النّاص"، و"التنصيص"، و"التنّاص"، و"النّخاطب"، و"التداولية النصّية"، و"النظام"، و"اللغة"، مقابلة، فمنهم من جعل "لسانيّات النَّصّ"، و"لسانيّات الخطاب"، على صفة عامة من غير تقاطع، إيجاباً، في ضوء

تساؤلاتٍ ورؤى ترتبط بالعالم وأنساق الواقع والأحداث، مرحلتي تطوُّر في الوعي المنهجيِّ والمعرفيِّ: الأبيستمولوجي والأكسيمولوجي<sup>(٩\*)</sup>، تتعدَّى مجالات وعي "لسانيَّات الجملة"، وذلك بسلوك سلسلة من المرجعيَّات تتصل بالمباني الصغرى وعلاقتها الجزئية، تُثمِّمُ مجاوزتها إلى أخرياتٍ كبرى في مقولاتٍ كُليَّة عند التَّحليل والتَّفكيك والتَّرجمة والكشف والتَّأويل والتَّفسير.

ولم يكن شأن هذه النَّصُّورات متأتياً من فراغ أصولها المرجعية، بل كان للمجالات التَّفاعليَّة، وهي تجري في ضوء سُلَّم البرمجيَّات الإبلاغيَّة والتَّواصلية وكفايتها في الإفادة وقاعدتها التَّخاطبيَّة: الإفهام والتَّفهيم، في جانب، واللسانيَّة في جانب آخر، كان لها أثرٌ بالغ في إيقاظ استراتيجيَّة تلك الإشكاليَّات المعرفيَّة ومخططاتها؛ لتحديد معالم أنظمتها الموضوعيَّة وهويتها التَّكوينيَّة.

ولعلَّ "دي بوجراند" كان أكثر إفصاحاً، في هذا المعنى، عندما قال: "إنَّ الحدود الصَّيقة للسانيَّات تتلاشى إمام التَّفاعل القويِّ بينها وبين العلوم ذات الصِّلة بها،... وينبغي للسانيَّات إذا لم تتلاش بسبب عزلتها من حيثُ هي حقل للبحث... أن تصبح علماً محوريّاً للخطاب والاتصال،..."<sup>(١٠)</sup>. تُثمِّمُ يتحوَّل من قراءة النَّصِّ إلى نحو الإجراء والممارسة والتَّداول؛ قائلاً: "لا تتحوَّل عن استكشاف الأقصر إلى استكشاف الأطول من نماذج اللُّغة فحسب وإلّا نجعل الاهتمام أيضاً يتَّجه إلى إجراءات الاستعمال UTILIZATION PROCESSES للغة الاتِّصال بدلاً من التَّركيز على الصِّغ المجرِّدة في الدِّهن"<sup>(١١)</sup>.

ولذلك كانت السِّمة الاستفهاميَّة السَّائدة تجري على نحو متداخل الاختصاصات منها؛ لما فيها من الاشتراك الذي تحمله والقيمة المعرفيَّة التي تحاول أن تصدِّرها، في: كيف يتكلَّم الإنسان باللُّغة ويستعملها؟ وما الوحدات اللِّسانيَّة، والقدر الكافي منها الذي يمكن أن يكون حاملاً، أو ناقلاً، ومسجلاً لهواجسه والتَّعبير عن المعاني والمقاصد والمعارف وإفهام الآخرين؟. وأيُّ من تلك الوحدات يمكن أن يكون على طاولة التَّحليل والتَّشريح؟، وأيُّ منها يمكن أن تكون محلَّ نظر عند التَّصنيف والتَّنظيم والتَّفعيد، ورسم المعالم النَّظريَّة في المهام والوظائف، والاستيعاب والفهم، والتَّنتائج والأهداف، أ الجملة، أم النَّصِّ، أم الخطاب؟، وما الذي يمكن أن يُتخذ محوراً في التَّواصل والاستعمال والتَّداول والتَّفاعل، تُثمِّمُ توصيفه سلطةً تعمل على التَّأثير والفعل والإنجاز؟، وبأيِّ من هذه المفاهيم يمكن أن تكون اللُّغة واضحة معبِّرة عن نفسها فيه، أو خارجة عنه، سواء أكانت كلاماً منظوقاً أم مكتوباً، مكوِّنة لذاتها نسقاً، نظامياً، مرجعياً، يُعتمد عند التَّحليل، والتَّفسير، والتَّأويل؟.

والذي يبدو أنَّ الإجابة لم تحصر نفسها بالنَّفْي وعدم القطع؛ لصعوبة التَّحديد، ابتداءً من الأسس والمنطلقات، والتَّداخل الشديد بين العلوم ذوات الصِّلة باللسانيَّات، بل عمدت إلى أن تتخذ من تلك

المفاهيم ما يناسب مداها الموضوعي الذي تكفل به سماتها وتتجلى فيه خصائصها المعرفية والإجرائية، فكان أن اتخذت اللسانيات من "الجملة" مجالَ نظرٍ؛ لأمرين، في أمر ثالث.

فالأول: كونها الكينونة اللسانية الأكبر التي يصدق عليها الوصف والتشريح اللغوي<sup>(١٢)</sup>، أو هي الإطار للاندماج الإجمالي لكل الوحدات الملائمة لسانياً، من غير اهتمام بالمستويات المحتملة للتنظيم العالي، أو نموذج التركيب الأمثل، الذي ينتمي إلى الكلام<sup>(١٣)</sup>؛ "أو عناصر من القول ينتهي بسكته...،" أو "نمط تركيبى ذو مكونات شكلية خاصة"<sup>(١٤)</sup>، يتميز بالاستقلال، و"لا يدخل عن طريق أي تركيب نحوي في أي شكل لغوي أكبر منه"<sup>(١٥)</sup>. والثاني: بوصفها الوحدة الدالة على فكرة كاملة تامة، أو القضية التي تعالج منطقياً<sup>(١٦)</sup>، ولذلك صدر جهازها المفاهيمي من الأساسين، توصيفها بالأمر الثالث: "وحدة أساسية اتصالية"<sup>(١٧)</sup>، فكونت بذلك: "وحدة الخطاب"<sup>(١٨)</sup>.

ثم جعلت نظاماً يتأسس عليه معيار تُقاس عليه معالم التحليل النصي في "المفهوم القضوي للنص" دون "المفهوم الدينامي للنص"، على فرض أن النص يُعد وحدة مستقرة غير مقسم زمنياً يمكن أن يعالج نظرياً قياساً على وحدة "الجملة"<sup>(١٩)</sup>؛ على أساس أن الوصف الذي يمكن أن يكون للجملة يصدق على الجمل المركبة وكذا على متتاليات الجمل في النص<sup>(٢٠)</sup>؛ ولهذا وصفت بـ"المعلم الرئيس"، والوحدة الأساسية التي تقوم عليها نظرية بناء النصوص<sup>(٢١)</sup>. ولا غرابة في ذلك فكل وصف للجمل يجب أن يتضمن داخله وصفاً للنص وبذلك يصير نحو الجملة ليس سوى جزء من النص<sup>(٢٢)</sup>.

و ربما لهذا الأمر قسمها. أعني الجملة. الأستاذ الأزهر الزنّاد نظرياً على نوعين: جملة. نظام System sentence، وهي شكل الجملة المجرد الذي يولد جميع الجمل الممكنة المقبولة في نحو لغة ما. جملة. نصية Text sentence، وهي الجملة المنجزة فعلاً في المقام<sup>(٢٣)</sup>. ولعلّ الأخيرة منهما تمثل المفهوم الكلي الذي يصدر منه الجهاز الوصفي الذي يتجاوز حدود الجملة، فيقف على دلالة النصوص والبنية التي تحكمها...<sup>(٢٤)</sup>، وهو ما يصبو إليه نحو النص.

وقد تبدو لي هذه المقاربة في التقسيم بين النحويين: المعيارى القياسى والاستعمالي الإنجازي للجملة، شبيهة بما قدمه الأستاذ منذر عياشي أيضاً، ولكن لا على نحو الاستقلالية والانغلاق، بل على نحو مركبة النص، وهو أمر يختلف عن المنظور المتقدم عكساً، فبدلاً من نظامية الجملة تكون نظامية النص ومحوريته، قال: "يمكن أن نقول إن الجملة، ضمن السلسلة الكلامية للإنجاز اللغوي، لا تنفك تدور على نظام النص، حتى لكأنها حلقة تربطها سلسلة لا تنتهى. وإن هذا التصور يصل بنا إلى مفهوم آخر للجملة غير مفهوم القواعد التقليدية لها. فالجملة ضمن هذا التصور ليست وحدة كلامية منتهية أو مغلقة. إنها إنجاز لا يتناهى، يمكن أن نسميه بحق نظام الجملة المفتوحة"<sup>(٢٥)</sup>.

وهي رؤية تتوافق، في ظني، أيضاً، مع ما يذهب إليه "رولان بارت"، من توصيف أن: "الخطاب هو جملة كبيرة (ليس بالضرورة أن تكون وحداتها جملة)، مثلما أن الجملة تشكل خطاباً صغيراً"<sup>(٢٦)</sup>. وأن العلاقة بينهما "علاقة تماثلية" إلى الحد الذي يكون فيه التنظيم الشكلي نفسه هو الذي يتحكم بكل المنظومات السيميائية مهما تكن ماهياتها وأبعادها"<sup>(٢٧)</sup>. وهو افتراض قائم على "وحدة الهوية بين اللغة والأدب"، والتسليم به يفضي إلى أن "المحكي، بنويماً شريك الجملة، دون إمكانية أن يختزل إلى مجموعة من الجمل: المحكي جملة كبيرة، مثلما أن كل جملة محققة هي بطريقة معينة بداية حكاية صغيرة"<sup>(٢٨)</sup>.

وعلى الرغم ممن يذهب إلى عدم الانفصال بين علم لغة الجملة وعلم لغة النص، والقول بتكاملية العلاقة بينهما؛ وذلك لقيام بحوث خاصة بعلم لغة الجملة تُعدّ، بلا شك من جهة، شروطاً جوهريّة في الدراسات الخاصة بعلم النص، إلى النصّ الأشمل"<sup>(٢٩)</sup>، على الرغم من ذلك ثمة من يرى أن النصوص وليست الجمل تمثل العلامات اللغوية الأصلية، لأنه لا يُنحَدَث حين يتحدّث أساساً إلا في نصوص...، فاللغة النصّية ونصيّة القيمة فقط هي وسيلة الاتّصال بين البشر،..."<sup>(٣٠)</sup>، وأن القيود التي تحكم بناء النصوص لا يمكن أن تختزل بالقيود اللسانية التي تعمل على مستوى الجملة"<sup>(٣١)</sup> فحسب، بل تتجاوزها إلى مطالب أعقد منها في التكوين والوصف النصّي"<sup>(٣٢)</sup>.

يقول دي بوجراند: "أزعم أن الكيان اللغوي المتعدّد المستويات لا بدّ أن يكون هو النصّ المشتمل على أجزاء fragments يمكن لها أو لا يمكن أن تركّب في صورة جملة،..."<sup>(٣٣)</sup>. ونفى أن يكون النصّ "مجرد منزلة rank مختلفة عن منزلة الجملة؛ لأنه قد يكون من كلمة، كما في كلمة "حريق" في البعد التواصلي، وقد يكون أكثر من كلمة واحدة، وقد يتألف من عناصر ليس لها ما للجملة من الشروط (مثلاً: علامات الطرق والإعلان والبرقيات ونحوها)"<sup>(٣٤)</sup>. وهي بلا شك عناصر تمثّل البعد السيميائي في دراسة النصّ.

ولهذا قدّم توصيفات متعدّدة على أساس المفارقة بينهما، منها: أن النصّ تجلٍ لنشاط إنساني، ونظام فعّال ACTUAL SYSTEM على حين أن الجملة نظام افتراضي VIRTUAL SYSTEM، وكيان قواعديّ grammatical خالص يتحدّد على مستوى النحو فحسب"<sup>(٣٥)</sup>؛ معترضاً على توصيفات النصّ التي لا تكشف النموذج الإنساني المقبول، ولا تصلح من الناحية العملية لأي مجموعة كبيرة من النصوص التي يُعتد بها"<sup>(٣٦)</sup>؛ لافتاً إلى أن سمة النصّ إنّما تقرّر معرفتها على نحو كمال بسبعة معايير، تقوم عليها المقولات النصّية TEXTUALITY واستعمالها، وأهدافها، وهي"<sup>(٣٧)</sup>: ١. السبك (Cohesion). ٢. الحبك أو الالتحام (Coherence). ٣. القصد

(Intentionality). ٤. المقبولية (Acceptability). ٥. رعاية الموقف (Situationality). ٦. التناص (Intertextuality). ٧. الإعلامية (Informativity).  
ورأى . في دعوة منه إلى البحث عن تكاملية العلوم . أنه لا يمكن لواحد من هذه المعايير أن يفهم دون التفكير في عوامل أربعة، هي: اللغة، والعقل، والمجتمع، والإجراء . على أن هذه المؤسسات النصية إنما تتوثق بمجموعة أخرى من قواعد التصميم والتخطيط، والكفاءة النصية والاستمرارية والتأثير والملاءمة<sup>(٣٨)</sup> . ملخصاً أن نظرية بناء النصوص تقوم، في الأصل، على ثلاثة مجالات أساسية، فضلاً عن المجال السيميائي، وهي:

**النحو في: الترابط الترصفي SEOENTIAL CONNECTIVITY.**

**والدلالة في: الترابط المفهومي CONCEPTUAL CONNECTIVITY.**

**والتداولية في: أعمال وخطط وأغراض ACTIONS - PLANS - GOALS<sup>(٣٩)</sup>.**

ولم يقتصر في الأمر على دراسة كيفية المباني التركيبية، تحليلها، بل أجراه على أن يشمل كيفية تحديد قيمتها المعرفية وانتاجها واستيعابها أيضاً<sup>(٤٠)</sup>؛ وهو ما يتجلى على عتبة عنوان كتابه الثلاثي التكوين: "النص، والخطاب، والإجراء"، تلك المفاهيم التي أصبحت مجالات النظرية والتطبيق في الدرس اللساني النصي الحديث<sup>(٤١)\*</sup>.

والذي يبدو لي أن هذه المعايير مجمعها التأسيسي التكاملي في هذا "الكيان اللغوي المتعدد المستويات". "النص، يمكن أن تكون جامعة وصف لكل ما انعقد مفهوماً للنص أو الخطاب في مفاوضات الدارسين، سواء السابقون منهم عليه أم اللاحقون، فكلُّ إنما يجري على مسافة من الطرائق التي سلكها موشور التوصيف، سواء على المستوى الكمي أم الكيفي أم النوعي، في الموضوع، والمنهج والغاية والهدف، في كون النص<sup>(٤٢)\*</sup>:

"وحدة لغوية وتواصلية في الوقت نفسه"<sup>(٤٣)</sup>. أو هو "متوالية من الجمل المترابطة فيما بينها، تشكل استمراراً وانسجاماً على صعيد تلك المتوالية"<sup>(٤٤)</sup>. أو هو "كلُّ الوحدات اللغوية ذات الوظيفة التواصلية الواضحة التي تحكمها جملة من المبادئ منها الانسجام والتماشك"<sup>(٤٥)</sup>. أو هو "سلسلة لسانية محكية، أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية، ولا يهم أن يكون المقصود هو متتالية من الجمل، أو من جملة وحيدة، أو جزء من الجملة"<sup>(٤٦)</sup>. لأنه مجال لفظي "من مجالات السيميوطيقا يتناول المدى الممتد ما بين النصوص ذات الكلمة المفردة (مثلاً الصياح بلفظ "حريق") إلى نصوص لها من الطول ما

للكوميديا الإلهية The Divine comedy لأنّ "الصِّفة المميزة للنصّ هي وقوعه في الاتصال OCCUR RENCE IN COMMUNICATION"<sup>(٤٧)</sup>.

أو هو "كلُّ متتالية من الجمل... شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين عناصر هذه الجمل علاقات، تتّم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة... النصّ يمكن أن يكون منطوقاً أو مكتوباً، نثراً أو شعراً، حواراً أو مونولوجاً، يمكن أن يكون أيّ شيء من مثل واحد حتّى مسرحيّة بأكملها،... إنّ النصّ وحدة دلاليّة، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقّق بها"<sup>(٤٨)</sup>. أو هو "عينة من السلوك اللغويّ الذي يمكن أن يكون مكتوباً أو منطوقاً،... طويلاً أو مختصراً، جديداً أو قديماً..."<sup>(٤٩)</sup>. أو "النصّ يمكن أن يتطابق مع جملة كما يمكن أن يتطابق مع كتاب كامل، ويعرف باستقلاليته وانغلاقه،..."<sup>(٥٠)</sup>. أو هو "تتابع متماسك من علامات لغويّة أو مركّبات من علامات لغويّة لا تدخل... تحت أيّة وحدة لغويّة أخرى أشمل"<sup>(٥١)</sup>. أو هو "وحدة ذات بنية معقّدة"<sup>(٥٢)</sup>. أو هو "الكَمّ الكليّ للإشارات التّواصلية في تفاعل تواصليّ، أو متحقّق لعملية تواصلية بين محقّقه (منشئ النصّ)، ومتلقّيه،... النصّ يُفهم قبل أيّ شيء على أنّه الجزء اللغويّ من فعل التّواصل"<sup>(٥٣)</sup>.

أو هو "علامة كبيرة ذات وجهين: وجه الدالّ ووجه المدلول،...". إنّه "كان لغويّ،... يطلق على ما به يظهر المعنى أي الشّكل الصّوتي المسموع من الكلام أو الشّكل المرئي منه عندما يُترجم إلى مكتوب...". إنّه "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلّ واحد هو ما نطلق عليه مصطلح النصّ"<sup>(٥٤)</sup>.

أو كما يقول "بارت": "النصّ هو ما تثمره اللّغة، وما دامت اللّغة ينبغي أن تحارب داخل اللّغة، لا عن طريق التّبليغ الذي هي أداة له، وإنّما بفعل الدور الذي تقوم به الكلمات والتي تشكّل هي مسرحه، سبان أن أقول إذن أدباً أو كتابةً أو نصّاً"<sup>(٥٥)</sup>. وهو ما "تتناوله اللّغة، فلا وجود له إلا داخل خطاب... إنّ النصّ لا يعرف نفسه إلا داخل عمل وانتاج"<sup>(٥٦)</sup>. إنّه "كلام يحيل على لغة، ورسالة تحيل على نسق، وانجاز يحيل على كفاية"<sup>(٥٧)</sup>. إنّه "نسيج الدلائل والعلامات التي تشكّل العمل الأدبيّ"<sup>(٥٨)</sup>.

أو كما في توصيف بول ريكور، سؤالاً وإجابة: "ما هو النصّ؟ لنسم نصّاً كلّ خطاب ثبتته الكتابة"<sup>(٥٩)</sup>. وما يُدوّن "بالحروف ما يريد الخطاب قوله"<sup>(٦٠)</sup>.

أو قد يتمثّل فيما انتهى إليه الأستاذ محمّد مفتاح من قراءة خلاصة لأهمّ مقوماته الجوهرية الأساسية، قال: "قالنصّ إذن، مدوّنة حدث كلامي ذي وظائف متعدّدة"<sup>(٦١)</sup>.

**. النَّصّ والخطاب . جدليّة موافقة أم مخالفة، أم نسبيّة التّوصيف؟:**

وقد يمسّ مفهوم النَّصّ مفاهيم أخرى غير الكتابة، كالخطاب مثلاً، فهي، وإن شكّلت في النَّصّ بيئة توصيف إلا أنّها مسجّلة لواقع مقابله وهو الخطاب؛ بوصفه حدثاً ودلالة<sup>(٦٢)</sup> إرادة.

وعلى الرّغم من إدراك مفارقة بينهما، إمّا على نحو تامّ، أو في منطق العموم والخصوص، أو في كون النَّصّ بنية، والخطاب موقفاً<sup>(٦٣)</sup>، ناهيك بهما موضوعاً ونظريّة، فضلاً عمّا يستحسنه "معجم تحليل الخطاب" من التّمييز بينهما، في كون اللّسانيّات النَّصيّة تفضل دراسة تنظيم السّياق الدّاخلِي للنصّ باعتباره انسجاماً لغويّاً. بينما تحليل الخطاب يولي سيات التّفاعل اللّغويّ والانسجام عناية أكثر<sup>(٦٤)</sup>؛ بوصفه ملفوظاً<sup>(٦٥)</sup>، وحواراً<sup>(٦٦)</sup>، أو "علاقة تخاطبيّة"<sup>(٦٧)</sup>. على الرّغم من ذلك ثمة من يلحظ أنّ الاختلاف بينهما: "النّصّ والخطاب"، اختلاف ضئيل لا يرتقي إلى تأسيس فارق نظريّ مهمّ بينهما<sup>(٦٨)</sup>؛ حتّى قيل إنّ: "المقابلة بين نصّ مكتوب وخطاب شفويّ حصر للفرق في الحامل أو الوسيط وحجب لكون النَّصّ في أغلب الوقت متعدّد السّمات"<sup>(٦٩)</sup>.

ولذلك قرّر الأستاذ محمد العبد . بالرّغم من توصيفه لفرق نظريّة<sup>(٧٠)</sup> أجمّع عليها بينهما :: "أنّ الإلاح بربط النَّصّ بمقاصده ووظائفه ممّا يعيد هذين المصطلحين في الاستعمال إلى دوائر متشابكة، بيدو فضّ الاشتباك بينهما أمراً عسيراً جدّاً"<sup>(٧١)</sup>، فكلّ ما يصلح في أرض النَّصّ يمكن أن يندرج في فضاء الخطاب مفهوماً وتوصيفاً، يقول "شابمان": "إنّ جملة من العناصر المشكلة لوحدة من الأداء اللّغويّ تقف مكتملة في ذاتها، تُسمّى في العموم خطاباً، وليس لهذا الاسم أيّ دلالة على الحجم أو الأسلوب أو النوع، ففي الحد الأدنى يمكن أن تكون هذه الوحدة كلمة أمر مفردة "قف" وفي الحد الأعلى تكون هذه الوحدة مفتوحة بكلّ معاني الكلمة... فالخطاب هو الوحدة اللّغويّة الفعّالة"<sup>(٧٢)</sup>. أو في قراءة "هاريس": "ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التّوزيعيّة وبشكل يجعلها تظلّ في مجال لسانيّ محض"<sup>(٧٣)</sup>. أو "الملفوظ المنظور إليه من وجهة آليّات وعمليّات اشتغله في التّواصل"<sup>(٧٤)</sup>. أو كما يقول أحمد المتوكّل: "يعدّ خطاباً كلّ ملفوظ مكتوب يشكّل وحدة تواصلية قائمة الذات"<sup>(٧٥)</sup>. ويقول: "يفاد من التعريف ثلاثة أمور: أولاً، تحييد الثّنائيّة الثّقابيّة جملة/خطاب حيث أصبح الخطاب شاملاً للجملة؛ ثانياً، اعتماد التّواصلية معياراً للخطاب؛ ثالثاً، إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب حيث أصبح من الممكن أن يُعدّ خطاباً نصّ كامل أو جملةً أو مركّباً..."<sup>(٧٦)</sup>.

إنَّ قراءة المتعيّن من تصوّر مفهوم النّصّ في كلّ ما تقدّم من توصيفاته يعيد إلى ذاكرتي فكرة مكعب "روبيك" (\*<sup>٧٧</sup>)، وما فيه من إمكانات التّحوّل وحرّيّة الحركة التي تجري في كلّ جانب من جوانبه المتعدّدة؛ لحلّ لغزه والاستقامة على شكل من أشكاله؛ متعةً أو تحدياً، ابتداءً من ترجمته "النّصّ": "Text" لغةً بما ينسجم و وصفه بدلالة "النّسيج"، أو "الضّفيرة" (<sup>٧٨</sup>)، وتقنين مادّته في المعجم العربيّ بمعنى: الرفع، وأقصى الشّيء وغايته (<sup>٧٩</sup>). فكلُّ توصيف إنّما يعمل بإنتاج مرجعيّاته، ويجري بحسب ما له من رؤى وأصول مرصودة؛ لإدراك مفهوم النّصّ؛ لأنّ بعضاً منها يتنظم في الآخر تكاملاً، وبعضاً منها يندرج فيه ضمناً، وآخر ينقدح باقتراح أخيه موافقةً، وكلُّ منها إنّما يستقي من رحيق مفهوم النّصّ، ويحاول أن يصل إلى فهمه، بتحديد خصائصه وسماته المظهرة منها والمضمرة، حتّى يبدو فيه ذلك الذي تقدّم ابتداءً؛ بتوصيفه: كلاً. منتهى التّركيبية، والدّلائية، والتّواصلية. يتولّف من أجزاء فعلاً وقوّة، متضمّناً، بالضرورة والاقتضاء، رسالةً ما، قائماً على نحو من قصدٍ وتواصل وإبلاغ. ليكون في النتيجة حاصل تكوين جملة من الأنظمة المتفاعلة، مشكّلة حياة خاصّة تجري بحسب نظام من كيمياء النّصّ، إنّه خلاصة مكوّنات تلك المقامات والمراتب التي تفسّرها مقولات الدّائرة التّخاطبية، وأصولها الاعتبارية.

ومن هنا يمكن القول: إنّ كلّ ما تقدّم يجري بإجازة من عبارة المنطقيين على قضية "مانعة الخلو" (<sup>٨٠</sup>)، فكلّ توصيف منها عبارة عن لون يمكن أن يتجلّى به إجراء النّصّ معرفةً، ويرسل نفسه فيه تحليلاً، وإن كانت الوسائل المعرفية فيها مختلفة، إلا أنّها على تعدّدها تسعى إلى تحقيق الغرض المشترك فيما بينها، وهو ما تعيّر عنه وتروم الوصل إليه، وهو: ما مفهوم النّصّ؟.

فعلى حين كانت الجملة منه محور القضية الصّغرى؛ بوصفها مؤسساً، كان النّصّ نفسه محور المتواليات منها في الأبنية الكبرى؛ بوصفه كلاً، وعلى حين كان النّصّ يتّصل بالكتابة تسجيلاً، كان الخطاب في التّخاطب والممارسة والإنتاج منه فعلاً، على أنّ جامعية الكلّ المركّب فيها هي انسكوبيديا "اللّغة" وما يشتغل فيها، استعمالاً وتواصلًا.

. من النّصّ إلى مميزاته وأهدافه، إشكالية تكوين وتعددية مناهج:

لم يرغب عن فكر الدّارسين ما "ينبغي أن يكون عليه المفهوم الأساس لأيّ نصّ"، في كونه "وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، فهو ينقل شيئاً ما إلى المخاطب، وهو ليس هدفاً في حدّ ذاته، وإنّما هو طريق للخطاب" (<sup>٨١</sup>)، والتّواصل والإبلاغ (<sup>٨٢</sup>).

ولذلك كانت محاولة "تون آ. فان دايك"، محاولة مهمة في إحالة السؤال إلى عمل، عندما قال:

"سنستبدل بالسؤال الساذج ما النص؟، سؤالاً آخر، وسنحاول أن نحمل إليه جواباً "كيف نحلل نصاً؟"<sup>(٨٣)</sup>؛ ولأنه أدرك مسبقاً أن تحليله للنصوص إنما يكون على معرفة ما تمتلكه النصوص بجدي، توجه بسؤال آخر أكثر دقة عن "ما هي مميزات النصوص واستخدام اللغة عموماً؟"<sup>(٨٤)</sup>؛ وذلك لتحديد

المميزات والمستويات المختلفة التي يمتلكها النص، ثم الوصول إلى متصور تعريفه.

بيد أن "متصور النص" حداً به، بحسب قراءة تلك المميزات التي تكوّن المهمة عينها التي يضطلع بها علم النص، حداً به إلى قناعة مبدئية مفادها: "أنه ليس من الممكن إذن بالنسبة إلينا من حيث المبدأ أن نعطي تعريفاً عن مفهوم النص"<sup>(٨٥)</sup>، مع تصوّره عدم قطع الأمل بتحديد معرفته وفهمه "حديسياً"؛ "فنحن إذ نحدد . والكلام لـ"دايك". هكذا موضوع علم النص، فإننا نستطيع أن ندل بشكل أكثر دقة ما هي المهمات والقضايا الخاصة بهذا النظام العلمي"<sup>(٨٦)</sup>.

أقول: إذا كانت معرفة النص "حديسياً" تفضي إلى معرفة نظام علمي بحسب "فان دايك"، يقوم على متصور مخصوص يشتغل باللغة، عن طريق إدراك خصائصه وفهم سماته دون جوهره تعريفاً وحداً، فكيف بتصوّر اصطلاحى له؟.

وتبقى إرادة الدارسين في "محاولة الوصول إلى تعريف يضم أكبر عدد من الملامح الفارقة للنص محاولة طموحة"<sup>(٨٧)</sup>، على الرغم من إدراك صعوبته؛ ولذلك كان "كلوس برينكر" يتساءل "هل يمكن عموماً أن يطوّر مفهوم صحيح بوجه عام للنص، يجيز أن يُحدّد ما يجب أن يُعدّ نصاً في جميع الأحوال؟"<sup>(٨٨)</sup>.

وهو تساؤل يضمّر في طياته جملة من الركائز لاقتراح "مفهوم مدمج للنص"، منها: أن كلّ العلوم إنما تعبر عن نفسها بنص، وكلّ بما يمتلكه من مميزات عبارة عن ممارسة نشاط لغوي، وأن دراسة النصوص بشكل تتداخل فيه العلوم، على الرغم من اختلافها بنيةً ووظيفةً وسمّةً . ممكنة، وأن علم النص قد تنبأ بذلك<sup>(٨٩)</sup>، فكيف يمكن الإجماع على توصيف ما لنص جامع بلا اعتراض.

ولكي تكون الإجابة وافية بمطلب السؤال التزم "كلوس" بمنهج، حدد فيه الآليات والأهداف، قال: "إنّ تحديد موضوع فرع علمي لا يتحدّد من خلال خواص الموضوعات في الواقع فحسب، بل إنّه يتبع قبل أيّ شيء أهداف الدراسة المعنيّة للعلماء أيضاً. وريماً لا يلائم تعريف مطلق للنص تلك التبعية المتبادلة بين وضع الهدف وتحديد الموضوع عند بناء نظرية ما ملائمة وافية"<sup>(٩٠)</sup>.

ولهذا وجّه أن يُنظر إلى النص على أساس اتجاهين، كلّ منهما سبق وأن حدّد موضوعاً وطوّر أهدافاً، وهما: "علم لغة النص القائم على أساس النظام اللغوي"، و"علم لغة النص الموجه على أساس

نظريّة التّواصل؛ لبناء نظريّة، واقترح أن يكون ثمّة "مفهوم مدمج للنّص" يقوم على أساس الموقفين الأساسيين معاً، لأنّهما ليسا "بديلين، بل متكاملين، ويتّصل بعضهما ببعض اتصالاً وثيقاً"<sup>(٩١)</sup>. ووصل بهذا المفهوم الإدراكيّ الذي يستقيم على مفهوم الاندماج التّكامليّ بالاشتراك بين العلمين، إلى استنباط "وصف النّص على أنّه وحدة لغويّة وتواصلية في الوقت نفسه"<sup>(٩٢)</sup>، موافقاً لمفهومه الاصطلاحيّ، بوصفه "تتابعاً محدوداً من علامات لغويّة متماسكة في ذاتها، وتشير بوصفها كلاً إلى وظيفة تواصلية مدركة"<sup>(٩٣)</sup>.

ولعلّ هذا ما يكشف لنا عن سبب تقديم "هاينه مان" "طرائق أساسية في وصف ظواهر نصيّة"<sup>(٩٤)</sup>؛ للدخول فيما بعد إلى مفهوم "النّصية ومشكلة تحديد النّص"<sup>(٩٥)</sup>؛ وإعطاء إجابات عن تساؤلات: "كيف ينبغي أن يوصف مفهوم النّص" الذي أُعيد اكتشافه من جديد وبشكل حقيقيّ في الاتجاه البراجماتيّ؟، وهو ما يُعيّن جوهر هذه الظاهرة، نصيّةته، وكيف يمكن تبعاً لذلك أن يُحد المفهوم من جموع لغويّة أخرى تُسمّى اللانصوص"<sup>(٩٦)</sup>.

وهذه الطرائق، بحسبه، أربعة مداخل يمكن وصف جهاز النّص بقراءتها، وهي: "المدخل النّحويّ"<sup>(٩٧)</sup>، و"المدخل الدلاليّ"<sup>(٩٨)</sup>، والمدخل البراجماتيّ. الاتصالي"<sup>(٩٩)</sup>، و"المدخل الإدراكيّ"<sup>(١٠٠)</sup>. وكأنيّ بها. أعني هذه المداخل. معايير عامّة لصياغة مفهوم للنّص، ولعلّها كذلك بحسب ما انتهى إليه من تصوّرات، قال: "فالنّصوص حسب فهمنا مرتبطة باللّغة، وبشكل مستقلّ عن صيغة تحقيق معيّنة لما هو لغويّ. ونتيجة لذلك لا نقصر مفهوم النّص على إيصال لغويّ كتابيّ للمعلومات إلى شريك، وعلى الأفعال اللّغويّة المستخلصة من الموقف الكلاميّ المباشر الخاصّ بها، على تلك الوحدات المصاغة لغويّاً،... المتعلّقة أساساً بالنّقل... بل إنّنا نستند إلى فكرة أنّ النّصوص صيغت أساساً وظيفياً بوجه عام، وأنّها يمكن... أن تحدث... بأبنية نصيّة متباينة تماماً للاتصال الشفويّ أو الكتابيّ الهدف ذاته. ونتيجة لذلك تُصنّف نصوص. كتابيّة ونصوص كلاميّة هنا تحت مفهوم عام للنّص"<sup>(١٠١)</sup>.

ولقد تشكّل قراءة "النّسبيّة لمفهوم النّص مطلقاً" بتوصيفه الأدبيّ، دوراً مهماً مستقبلاً في تعاريف النّص؛ كي تبعد عن مفهوم إغائه؛ لمشكلاته الكثيرة، إلا أنّ هذا. في تصوّره، أعني: "هاينه مان". لا يعني اللّغويّين من مهمّة تحديد ما هو جوهرّيّ في مفهوم النّص، وهو النّظر إلى "القرائن" (البيّانات المفتاح ذات صلاحية عليا أو دنيا)"<sup>(١٠٢)</sup>، بحساب "الأنماط الأساسية"<sup>(١٠٣)</sup> والتّجريد.

وقد تكون محاولة فان دايك. مع محاولته المتقدّمة. في إعادة قراءة الجمل المتتابعة والمركّبة مع إعطاء ملحظ ما بينهما من فارق نسقيّة؛ لتوصيف مفهوم للنّص، إعادة لإشكاليّة النّص؛ لأنّه "بعد

تحديد خصائص المتتاليات الجمليّة ينتهي... إلى أنّ مفهوم النّص... لا يتحدّد بمستوى واحد، أو حتّى بنموذج واحد (نحويّ مثلاً)؛ ولكنّه يتطلّب نظريّة معقّدة... تخصّص، في الوقت ذاته مستويات مختلفة (المورفولوجي، والتركيبي، والدّلالي، والتّداولي)، وهكذا يتحدّد مفهوم النّصّ باعتباره بنية شكلية مجرّدة أكبر من الجملة... تفترض مبدئياً فعلاً كلامياً، يتميّز عن الأفعال الكلامية الأخرى، ويتشكّل داخل متتالية من النّشاط وحدة خفية تتحدّد بعلامة البداية والنّهاية" (١٠٤).

إنّ تصوّر كلّ من "فان دايك"، و"كلاوس" و"هاينه مان"، لمّا ينسجم مع مفهوم النّصّ، كي يُوافق بالقبول. يشير إلى مدى ما يكون عليه النّصّ موقعاً في جهاز الفكر اللّسانيّ، فإذا كانت مميزات النّصّ وسماته ممّا يكشف عنه صفة، تبقى محاولة كشفه ذاتاً بحاجة إلى وعي بمعرفة.

والظاهر أنّ سبب بقاء مشكلة ترويض النّصّ عصيّة لا لما يقوم عليه من الأنموذج الكلّي، بل لما في التّشعبات التي يجري عليها توصيف النّصوص واختلاف مناهجها وقراءاتها، فضلاً عمّا يمثّله هو نفسه، بوصفه "منظومة لغويّة لها قوانينها وآلياتها وترهين لألفاظها في سياقاتها المختلفة" (١٠٥)، فكيف إذا كان هو نفسه تجلّ من تجلياتها (١٠٦)؟!، وإذا كان لكلّ علم. كما تقدّم. لغة خاصة وسمات معيّنة تعمل على وصفه، فلماذا لا يكون النّصّ واصفاً لنفسه، ولماذا لا تعمل الأنظمة التي تحاول وصفه عمل التّكامل لا التّعارض؟، وإذا كانت أدوات التّواصل ونقل المعارف تعمل على تطوير ذاتها؛ طبقاً لتعدّدها، بحسب السيميائيين (١٠٧)، فلماذا لا يكون للنّصّ نصيب منها، وهو في الأساس وحدة أساسية للتواصل والتّفاعل (١٠٨)؟!.

ولعلّ الأستاذ سعيد بحيري كان دقيقاً في تصويب سنن النّصّ وإشكاليّات حدّه عندما قال: "إنّ تعدّد الأشكال النّصّية ليس في صورها الكبرى، بل في صورها الصغرى الجزئية يحول دون تعريف دقيق للنّصّ، ولم يكن الجانب الكميّ وحده مسؤولاً [كذا] عن هذا الاخفاق، بل يسهم الجانب الكيفي بقدر كبير في ذلك، إذ إنّ جوانب النّصّ وحدوده وتكويناته ودلالاته تشترك جميعاً في عمليّة وضع الحدّ الفاصل له، بل تدخل جوانب أخرى غير منظورة إلى جانب تلك الأبعاد المنظورة في هذا الجدول. ففي النّصّ ركائز ماديّة فيسولوجية متخالفة قائمة على محور الاختيار، وعلائق استبدالية قائمة على محور التّركيب، ودلالات إشاريّة، وأخرى إيحائيّة، إلى غير ذلك من مكوّنات النّصّ المستندة إلى تداخل الجوانب الرّأسيّة والأفقية وتعدّد الدّلالات وتعدد الشّفرات إلى حدّ يسمح معه بتعدّد القراءات" (١٠٩).

وقد نتج عن ذلك. والكلام للأستاذ "سعيد بحيري". تصوّران كبيران للنّصّ لدى الباحثين: "أحدهما استاتيكيّ والآخر ديناميكيّ متحرّك. فمن الوجهة السكونيّة نجدنا حيال نصّ باعتباره جملة من الأبنية

المركبة ذات الامتدادات الناجمة عن عملية إنتاج خاصّة، تخضع للتحاليل بفكّ شفراتها المستقيمة في خطّ طولي، طبقاً لدرجة قابليتها للفهم، ممّا يثير لدينا رغبة ممارسة التّحليل البنيويّ عليه، لالتقاط العناصر الفاعلة في نظام علاقاته التّركيبية، وذلك لتعويض التصلب والسكونية الكامنين في هذا التّصوّر للنّصّ. ومن المنظور الرّاسي نجد أنفسنا حيال نصّ أدبيّ متعدّد المستويات... غير المتجانسة...، مثل مستويات الأصوات اللّغوية والوحدات الدّلالية والموضوعات أو التّجارب المقدّمة من خلالها، والمظاهر الهيكلية لها، ممّا يتكوّن منه في نهاية الأمر تنظيم عضويّ... يمكن قراءته عبر مجموعة من التّحليلات الأسلوبية التي تتركز على تكويناته الصّوتية ووحداته الدّلالية أو بقراءة بنيوية أيضاً، تعنى بإبراز العلاقات المماثلة بين تلك المستويات المختلفة<sup>(١١٠)</sup>.

والذي يبدو أنّ الاختلاف في إمساك موضوع النّصّ مفهوماً وحدّاً، لا يعني. في تصوّري السير. أنّه انشغال بلا قيم، أو دعوة بلا هدف، بل يعني انشغال المعرفة واتّساعها في مركزيّة ذات تنشّط على أفلاك التاريخ الإنسانيّ، تترجمها إشارات وعلامات ودلالات مختلفة في ضوء أنظمة القيم<sup>(١١١)</sup>، وإذا كانت المعرفة تنطلق من دائرة تشترك بين مظهر ومضمّر، من ذاتٍ وشيءٍ وعلاقة على نحو مبادعة ومقاربة، ثمّ إدراك وممارسة وتواصل وفعل وقصد. بحسب مرجعية "من عرّف نفسه"<sup>(١١٢)</sup>. فإنّها لا محالة تبدو ألقاً ودلالةً في كلّ مفاصل الوجود، والنّصّ إنّما يكون فيها ولها على نحو بيان وتبيين، وإفهام وتفهم، وهو، بالضرورة، شاهد عليها في النّظر والقراءة والفكر والتدبّر والتأويل.

## المبحث الثاني

### من إشكاليّات النّصّ نظراً إلى وعي القراءة فعلاً:

#### . نحو قراءة النّصّ . فهمه وانتاجه وتفسيره:

ترتبط القراءة بالنّصّ ارتباطاً روحٍ بجسد، لتأخذ منحاً جدلياً واسع الأبعاد، يكوّن من النّصّ نفسه فلسفة نظام وثقافة<sup>(١١٣)</sup> فتواصلًا وفعلاً؛ لأنّها "نشاط موجّه من طرف النّصّ"<sup>(١١٤)</sup>؛ إدراك رسالته وإبداعه. بل لعلّها "القراءة". بملحظ البحث والخبرات. ما يُسمّى "الذاكرة الجمعيّة"<sup>(١١٥)</sup>، أو "أفق انتظار القارئ"<sup>(١١٦)</sup>. المعرفيّة أولاً، وبتقييد فعل الكتابة والتّسجيل ثانياً. سابقة لاحقة لتكوينه "النّصّ" المعرفي والوجودي؛ لأنّها، في بعض معانيها الدّلالية، تعني: الجمع والضمّ والتّكوين<sup>(١١٧)</sup>.. "اقرأ".

ومن البدهي أنّ هذا الجمع التّكويني، على سمة الإيجاب في النّقصي والبحث المنظمّ منه<sup>(١١٨)</sup>، لا يتأتّى اعتباطاً، ومن دون منهجية تقوم على رؤية من منطق واستراتيجية بالآليات لأهداف؛ ذلك لأنّ المنهج هو الذي يضبط خطى القراءة ويحدد مسارها ونتائجها، بل إنّ القراءة النّقدية التي لا تستند إلى

منهج تفقد قيمتها وفعاليتها، ومن ثم تُفسد النص<sup>(١١٩)</sup>، فكيف إذا كانت تدعو إلى توجيه القارئ؛ ليتبنى موقفاً يتعلّق به النص<sup>(١٢٠)</sup>؛ على افتراض جدلي مسبق، ناهيك بالغرض الذي يتصل موثقةً بـ"أفعال الفهم"، وآليات المعرفة، وهي عمليات لاحقة لـ"فعل القراءة"<sup>(١٢١)\*</sup>.

ولعلّ ما قدّمته جوليا كريستيفا، من قول "إنّ النصّ... كلّ ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف طبقات الدلالية الحاضرة هنا داخل اللسان، والعاملة على تحريك ذاكرته التاريخية..."<sup>(١٢٢)</sup>؛ كي تأسس للنصّ "علاقة ما مع الوصف اللساني"<sup>(١٢٣)</sup>. يمثّل تقدُّماً معرفياً مهماً في إدراك فعل القراءة الجمعي الذي يقوم على منهج؛ وهو ما صارت به فعلاً إلى قول: "فالنصّ إذن إنتاجية"<sup>(١٢٤)</sup>. و"الانتاجية المسماة نصّاً"<sup>(١٢٥)</sup>. وهذه الانتاجية تتوزّع في توصيفها القرائي على أمرين: تصوّر لساني لمعيار يُقاس بالمقولات المنطقية، وانصهار النصوص بنصّ معيّن في مقولة "التناص". ليكون المحصول النهائي هو فاعلية ذلك الانتاج، وهو قول: "النصّ كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواسلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه"<sup>(١٢٦)</sup>.

ولهذا شكّلت علاقة القراءة. النصّ، عند "بارت" طريقاً سيميائياً للمفارقة بين الأثر الأدبي والنصّ<sup>(١٢٧)</sup>؛ لأنّ النصّ، في توصيفه، "لا يعرف نفسه إلا داخل عمل وإنتاج"<sup>(١٢٨)</sup>، فهو مقولة: "حقل منهجي"<sup>(١٢٩)</sup>، وعلى هذا الأساس المفترض صار النصّ، بحسبه، هو ما يتحدّث عنه، ويبرهن عليه وفق قواعد، ثمّ هو تمدّدي في اللانهائي يدرك ذاته، ويقاربها من الدال والعلامة، ثمّ تعدّدي لا يعني أنّه ينطوي على معانٍ عديدة فحسب، وإنّما يحقّق تعدّد المعنى ذاته، وليس هو وجود للمعنى، وإنّما هو مجاز وانتقال، تتناوله اللُغة، لا تلتبس محتوياته، إنّه ذلك التعدّد المتناغم الدلائل التي يتكوّن منها، إنّه ما يوجد على حدود قواعد القول من معقوليّة وقابليّة للقراءة<sup>(١٣٠)</sup>.

ومن هناك توجّه "بارت" إلى نحو قراءة النصّ وفكرة تحليله إمعاناً، بوصفه وادياً، واصفاً حالة القارئ مع هذا الكائن السيميائي المنسجم التكويني بالاختلاف، قال: "إنّ قارئ النصّ شبيه بذات مرتبكة...، هذه الذات الفارغة تتجوّل قرب وادٍ في أسفله نهر، ما يدرکه متعدّد يصدر عن مواد ومستويات متنوّعة من أضواء وألوان وخضرة وحرارة وهواء وضجيج وزقيق وأصوات أطفال وحركات وملابس. كلّ هذه الحوادث التي تكاد تُدرّك كلّ على حدة: إنّها تخضع لقواعد معروفة، بيد أنّ المزج بينها متقرّد. وهو ما يحدّد النزعة في اختلافها الذي لا يمكن أن يتكرّر إلا كاختلاف. هذا هو شأن النصّ، إنّه لا يمكن أن يكون هو ذاته إلا في اختلافه (الأمر الذي لا يعني تفرده). وإنّ قراءته لا تتمّ إلا مرة واحدة..."

وبالرغم من ذلك فهو نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء، وأعني من اللغات الثقافية... السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله<sup>(١٣١)</sup>.

ثم قال، مشكلاً قراءة خاصة لمفهوم "التناص" المكوّن لبنية النصّ، وكيف أنّه ينصهر فيه بالقراءة السابقة من غير إحالة، حتّى كأنّ النصّ فيه فاعليّة ثقافة بقراءات نصّية ذاتية في الكلّ المكوّن: "إنّ التناصّ الذي يدخل فيه كلّ نصّ، لا يمكن أبداً أن يعتبر أصلاً للنصّ،... أمّا الاقتباسات التي يتكوّن منها النصّ فهي مجهولة الاسم لا يمكن ردها إلى أصولها. ومع ذلك فقد سبقت قراءتها: إنّها اقتباسات لا تقدّم نفسها كذلك ولا توضع بين أقواس..."<sup>(١٣٢)</sup>.

لقد أسّس "بارت" من كلّ ما تقدّم إجراء يقوم على تصوّر قبلي بعدي لفعل القراءة؛ حتّى وصل إلى أنّ النصّ بها يمكن أن يقدّم نفسه رافعاً "شعار الإنسان"<sup>(١٣٣)</sup>، وما كان ذلك إلا لأنّ النصّ نتاج إبداعيّ ذو "حقل منهجيّ" يتّصف بفعل القراءة . الإنسان.

وإذا كانت سمة التحوّل المعرفيّ "من الكائن الإنسانيّ إلى الكائن الكلاميّ"<sup>(١٣٤)</sup>، قد أعاد للإنسان مكانته المتميّزة بين المخلوقات، فإنّه بالضرورة سيدخل "ضمن الشّروط اللّغويّ في توزيعه على دائرتي الإيصال والإبداع،..."<sup>(١٣٥)</sup>. لأنّ الخطاب، في مقولات الدّرس الحديث، على قسمين: خطاب إيصاليّ: يقوم على "سؤالين: ماذا يقول الخطاب، ومن ذا الذي يقوله". وخطاب إبداعيّ، يقوم على "سؤال واحد: كيف يقول الخطاب ما يقول"<sup>(١٣٦)</sup>.. إنّهُ إيصال؛ لأنّ الأخر ضرورة بقائه، وهو "إبداع لأنّ الخلق ضرورة وجوده، وهو في الحالة الأولى إنسانيّ، لأنّ هذه صفته، وهو في الحالة الثانية كلاميّ؛ لأنّ اللّغة أداة تميّزه بين المخلوقات، كما هي أداة كماله"<sup>(١٣٧)</sup>.

أقول: إذا كان الأمر كذلك، فإنّ فعل القراءة وآليات الفهم، في اعتقادي، تعيد التحوّل والنّظر، في تفسير الإنسان، إلى مستوى خارج ظاهرة الصّوت، إذ تنتقل به من الكائن الكلاميّ إلى الكائن القرائيّ . الكتابيّ. ومن "معرفة الحواس إلى معرفة العقول،..."<sup>(١٣٨)</sup>، وهو فعل يتّصل جدلاً بالقراءة: محور التّعقل الانتاجيّ، والكتابة: التّسجيل والتّثبيت؛ لأنّها أعني: الكتابة، "التّجليّ الكامل للخطاب"<sup>(١٣٩)</sup>، وهي "الإعراب عن المعاني"<sup>(١٤٠)</sup>، بل هي المؤسّسة للنّصّ نفسه، فكلّ كتابة كانت كلاماً في الافتراض، وكونها كذلك فهي تالية له، وفيما يبدو أنّها منذورة؛ لتثبيت كلّ تلفظاته التي لاحت شفويّاً بشكل خطّيّ<sup>(١٤١)</sup>؛ فصارت بذلك المنقّذة له، والضامنة لبقائه ولديمومته، وهو بها في منأى عن الدمار والنّسيان والضياع<sup>(١٤٢)</sup>؛ بعامل خارجيّ مادّي صرف، وهو التّثبيت وخاصيّة النّقش الدائمة<sup>(١٤٣)</sup>؛ قيل: "الكتابة صناعة وتمثيل للكلام بأثر مرقوم على حامل ملائم"<sup>(١٤٤)</sup>.

وقد يتبادر إلى الذهن، بحسب ما سلف، أنّ الكتابة مجرد تثبيت لخطاب شفويّ سابق وتسجيل له، إذ يودع مصيره في أيدي الحروف المكتوبة، لا الأصوات المنطوقة<sup>(١٤٥)</sup>، فحسب!.

أقول قد يتركب على اعتماد ذلك صحّة أيضاً، وهو تصوّر غائيّ مطلوب جداً؛ لعلّة متقدّمة، أنّها وسيلة ينتقل بها الفكر البشريّ انتقالاً مباشراً دون المرور بالمرحلة الوسطى للغة المنطوقة<sup>(١٤٦)</sup>، ولا شكّ، فالفكر ينجز نفسه ويتخذ له من التّعبير أشكالاً<sup>(١٤٧)</sup> مختلفة منها الكتابة، إنّها "شراح انتقاله من العابر إلى الدائم"<sup>(١٤٨)</sup>؛ وطريقة من طرائق التّفكير، والكشف<sup>(١٤٩)</sup>، كما يصف سارتر، مادّتها: الكلمات؛ لا بوصفها أشياء، بل لدلائل على الأشياء<sup>(١٥٠)</sup>، ووسيلتها: النّسطير الذي يحلّ محلّ النّعبير الصّوتي، الذي هو نفسه إنجاز ثقافيّ يختفي فيه الواقع البشريّ<sup>(١٥١)</sup>. يقول ريكور: "هو إنجاز ثقافيّ يُعنى بطبيعة الخطاب الوقائيّة أولاً، ثمّ بالمعنى تالياً، فلأنّ الخطاب وحده يوجد في لحظة زمنيّة وحاضرة من الخطاب، فقد يفلت كلاماً ويثبت كتابةً... وما نريد تثبيته الخطاب لا اللّغة بصفاتها لساناً... فنظام اللّغة اللا. زمني لا يظهر ولا يختفي؛ لأنّه ببساطة لا يحصل، فالخطاب وحده هو ما يجب تثبيته؛ لأنّ الخطاب من حيث هو واقعة يختفي"<sup>(١٥٢)</sup>.

ومن هنا تأتي فاعليّة فعل الكتابة؛ لتتقدّ الأقوال والمضامين بتدوينها دون وقائع الخطاب؛ لطبيعتها الاختزاليّة<sup>(١٥٣)</sup> والانعزاليّة، وليس تدوينها فحسب، بل تجعل منها سجلاً ووثيقة تكون رهن إشارة الذاكرة الفرديّة والجماعيّة تسمح بترجمتها وتحليلها وتأويلها<sup>(١٥٤)</sup>؛ وتعمل على أن تتزع إليها بعمق في وظيفتها الاتصاليّة<sup>(١٥٥)</sup>؛ وذلك لأنّها "متن. رسالة. مكتوب. مدوّنة" في توصيف "نصّ"، ومن شأن الأخير، وظيفته، الاتّصال والإبلاغ<sup>(١٥٦)</sup>، إنّها بتعبير ريكور: "شهادة ميلاد النّصّ"<sup>(١٥٧)</sup>، وبتوصيف "بارت": "فعل للتضامن التّاريخي"<sup>(١٥٨)</sup>. وبعبارة أخرى "الشّكل المقبوض عليه في نيّته الإنسانيّة والموصول نتيجة لذلك بأزمات التّاريخ الكبرى"<sup>(١٥٩)</sup>.

إنّ النّصّ حين توطّره الكتابة تسجيلاً؛ ليكون طريقةً للتواصل وظيفته لا يعني فحسب، تجميع "شئات واقع ثابت أو يُوهم به دائماً، وإنّما يبني المسرح المنتقل لحركته التي يساهم هو فيها ويكون محمولاً وصفة لها"<sup>(١٦٠)</sup>؛ ولهذا انتقدت جوليا كريستيفا صفة التّواصلية في النّصّ بنحو سلبيّ جمعيّ فحسب، دون النّظر إلى فاعليته الحركيّة وأثرها في تحويل الواقع، حين قالت: "إنّ النّصّ ليس تلك اللّغة التّواصلية التي يقنّتها النّحو، فهو لا يكتفي بتصوير الواقع أو الدّلالة عليه. فحيثما يكون دالاً (أي في هذا الأثر المنزاح والحاضر حيثما يقوم بالتّصوير)، فإنّه يشارك في تحريك وتحويل الواقع الذي يمسك به في لحظة انغلاقه"<sup>(١٦١)</sup>.

وهو رأي يضيف بعداً فعلياً للقراءة . الكتابة، على نحو مستويات متعدّدة من الدّأول، ويكشف عمّا وراءها من "التاريخ والجانب الذي نتحيز له في ذلك التاريخ"<sup>(١٦٢)</sup>، ناهيك به تصحيحاً لمسار التّواصلية من التثبيت إلى التّفاعلية، لأنّ الكتابة عقد وتكوين لبنية نسقيّة تتكوّن من أفكار ومضامين تربط بينها علاقات متعدّدة ومتنوّعة ومختلفة الأبعاد، فتكون البنية (كيفية تشكّل النّص) محايدة لفعل الكتابة...<sup>(١٦٣)</sup>. يقول الغدّامي: "الكتابة إذن ليست وعاء لشحن وحدات معدّة سلفاً، وإنّما هي صيغة لإنتاج هذه الوحدات وابتكارها"<sup>(١٦٤)</sup>.

ومن هنا يمكن أن نفهم قراءة "سارتر" في مقارباته للكتابة بالكشف والإفضاء إلى الآخرين فكراً وتأملاً ونتائج، . لأنّ "الإنسانية ذات طبيعة كاشفة"<sup>(١٦٥)</sup>. وتأكيداً على أنّ فعل الكتابة هو عبارة عن "كشف للعالم ثمّ اقتراحه واجباً يقوم به القارئ"<sup>(١٦٦)</sup>. وأنّ "الكتابة لجوء الكاتب إلى ضمير الآخرين بغية الاعتراف به عاملاً جوهرياً في مجموع هذا الكون؛ رغبةً من الكاتب أن يحيا معترفاً له بذلك على يد وسطاء من الناس"<sup>(١٦٧)</sup>. وأنّ "الكتابة دعوة موجّهة من الكاتب إلى حرّيّة القارئ لتكون عوناً للكاتب على إنتاج عمله"<sup>(١٦٨)</sup>.

وقد شكّلت الكتابة عنده مع فعل القراءة . القارئ مرجعيّة لخلق الموضوع والنتائج الأدبيّة، بسبيل لا يمكن أن يكون إلا على نحو التّواصل والتّعاون الثنائيّ المشترك بينهما: الكاتب والقارئ، قال: "إنّ القراءة عمليّة خلق من القارئ بتوجيه من المؤلّف"<sup>(١٦٩)</sup>. وعلى ذلك فـ"عمليّة الكتاب تتضمّن عمليّة القراءة لازماً منطقياً لها، وهاتان العمليتان تستلزمان عاملين متميزين الكاتب والقارئ، فتعاون المؤلّف والقارئ في مجهودهما هو الذي يخرج إلى الوجود هذا الأثر الفكريّ، وهو النتاج الأدبيّ المحسوس الخيالي في وقت معاً. فلا وجود لفن إلا بوساطة الآخرين ومن أجلهم"<sup>(١٧٠)</sup>؛ إنّهما ظاهرتان ثقافيتان ونشاطان من أنشطة المجتمع، ولا يكتمل أحدهما إلا بالآخر جدلاً؛ وذلك لأنّ الكتابة تحوّل النّص "إلى كائن يقول" وكذا يعبر عن كينونته الخاصّة، وهي كينونة العالم الذي تحمله لغته، فعبّر الرّمزيّة يتمّ الجدل المثمر بين الكتابة والقراءة، الكتابة تثبت تمثّلات العالم وتكثّرها عبر الرمز، والقراءة تقوم بفكّ الرموز للدخول إلى العالم الذي تحمله الكتابة...<sup>(١٧١)</sup>.

وبالرغم من وثاقة العلاقة بين سمتي النّص في "أنّ الكتابة تستدعي القراءة"<sup>(١٧٢)</sup>، وأنّ "فعل القراءة يشكّل نظيراً لفعل الكتابة"<sup>(١٧٣)</sup>، والقول إنّ القراءة "تؤلّف مع الكتابة وجهين لورقة واحدة يصعب فصلهما، بل يستحيل"<sup>(١٧٤)</sup>، وإنّهما عبارة عن "وجهين لعمل إبداعي واحد"<sup>(١٧٥)</sup>، على الرّغم من ذلك فقد رسمت قراءات فلسفيّة للعلاقة بين "النّص وذاتيتي المؤلّف والقارئ"، أشكالاً مختلفة من المفارقة في الثنائيات وفروقاً بين النّص والقارئ<sup>(١٧٦)</sup>، أو في "المباعدة الاستلابيّة"<sup>(١٧٧)</sup>، أو المباشرة<sup>(١٧٨)</sup>

واللاتماثل بين النصّ والقارئ<sup>(١٧٩)</sup> و"التنائي المنتج"<sup>(١٨٠)</sup>، ما جعل النصّ يقتحم دائرة التأويل والانفتاح على قراءات متعدّدة، والدُخول في إشكاليّة "تملك معنى النصّ"<sup>(١٨١)</sup>، و"مفهوم الاستقلال الدلالي"<sup>(١٨٢)</sup> له.

والسبب هو حلول الفكر/المعنى الدلاليّ في قناة تواصلية مختلفة عن الخطاب/الحوار، وهي الكتابة/النصّ. وهو الأمر الذي يؤديّ إلى اختلاف الأنظمة الناقلة وعوالمها، والانتقال من عالم إلى عالم آخر<sup>(١٨٣)\*</sup>، فضلاً عن مرجعيّات التكوّن، ويجعل من القراءة "تواصلًا مؤجلاً. فالمؤلف والقارئ. في الغالب الأعم. يكونان بعيدين في المكان والزمان. ولهذا فالعلاقة بين المرسل والمتلقّي، من خلال القراءة، غير متماثلة كئيّة"<sup>(١٨٤)</sup>.

ولقد مثل "ريكور" هذه المفارقة<sup>(١٨٥)\*</sup> وعدم التّمائل، برؤى تكشف عن وعي عميق بماهية الوسط الناقل/الحامل للرسالة التّواصلية، فإذا كانت الكتابة تنبئاً يؤسّس نصّاً، فهذا يعني نسفاً لشرط الخطاب الأساسي، وهو المبدأ الحواريّ، وغاية القصد، إذ يتحوّل كلّ من المتكلّم والسّامع من المشافهة وجهاً لوجه، إلى علاقة "قراءة الكتابة الأكثر تعقيداً، الناشئة عن التّسطير المباشر للخطاب في حروف مكتوبة. لقد تمّ نسفُ الموقف الحواريّ بالكامل، ولم تُعدّ علاقة الكتابة. القراءة حالة خاصّة من حالات علاقة التّكلم. الاستماع"<sup>(١٨٦)</sup>، وبمعنى آخر "أنّ الكتابة تجعل النصّ مستقلاً عن قصد الكاتب، وما يدلّ عليه النصّ لا يتطابق مع أراد قوله،..."<sup>(١٨٧)</sup>. وهو الأمر الذي سيصير فيه مصطلح "التّسطير رديفاً للاستقلال الدلاليّ للنصّ، الذي ينشأ عن فصل القصد الذهني للمؤلف عن المعنى اللّفظي للنصّ، وفصل ما كان يعينه المؤلّف عما يعنيه النصّ"<sup>(١٨٨)</sup>.

ولهذا أنكر "ريكور" قول: "إنّ القراءة حوار مع الكاتب من خلال مؤلّفه،...؛ لاختلاف العلاقات المتقابلة؛ عادلاً عنه إلى ما يجب قوله: "إنّ علاقة القارئ بالكتاب علاقة من طبيعة أخرى؛ الحوار تبادل أسئلة وأجوبة؛ وتبادل من هذا النوع غير موجود بين الكاتب والقارئ؛ الكاتب لا يجيب القارئ؛ الكتاب بالأحرى يفرق بين منحدريّ فعل الكتابة وفعل القراءة اللذين لا يتواصلان؛ القارئ غائب من الكتابة؛ والكاتب غائب من القراءة. وهكذا ينتج النصّ احتجاجاً مزدوجاً للقارئ والكاتب،..."<sup>(١٨٩)</sup>.

وهل يبقى النصّ بهذا التّصوّر بلا عالم، ولا مرجعية<sup>(١٩٠)\*</sup>، وعلى مستويات من الإمحاء عن العالم ويكون له من الحرّيّة ما يمكن أن يدخل في أيّ نصّ آخر من النصوص؟. هنا تأتي مهمّة فعل القراءة؛ إنجاز وظيفتها للكشف عن النصّ في جدلٍ بحورين، الأول: قدرتها على إزالة السّياق من النصّ وإعادته إليه من جديد<sup>(١٩١)</sup> بمنظومة "أفق الانتظار" والأهليّة. والمحمور الثاني: تصوّر انحجاب عالم النصّ، يولد إمكانين اثنين: تأجيل النصّ، وذلك بالتّعامل معه على أنّه نصّ بلا عالم، ولا

مؤلف، وشرحه انطلاقاً من علاقاته الداخلية ومن بنيته. أو تأويل النص، وذلك برفع التأجيل عنه بإخضاعه للتواصل المباشر. القراءة إذن جدلية هذين الموقفين<sup>(١٩٢)</sup>.

أقول: إذا كانت القراءة تقدّم نفسها انجازاً مشكلاً في جدلية: الشرح والتأويل، على نحو مفارقة، فما الغرض والهدف الذي تروم الوصول إليه؟. عوداً على بدء!، ما فعل القراءة Act of Reading؟!، وما تجلياتها أنماطاً؟. أ لها جهاز مفاهيمي معرفي تتأسس عليه، ويتمخض عنه؟، وهل يمكن أن تصنف النصوص على أساسها، وتتكاثر التأويلات على ممارستها؟، ومتى يتصف النص بها انفتاحاً وانغلاقاً وعالمية؟، وما أهميتها؟. وإذا كانت فعالية في حكم سيروية، تجري على مسرح النص، وتطوف في فلكه، فأى قارئ يمكن أن يمثلها، ويؤدّي دورها المعرفي؟.

لقد اقتحم هذا الاستفهام الكلي مدارس ونظريات ومناهج "بنوية، وسميائية، وتفكيكية، وتأويلية"، ... شكل نفذوا وإرادة وسلطة، واتخذ سبلاً واستراتيجيات، منها: مركزية النص واستقلاله، والعلاقة بين القارئ والنص، أو الذات والموضوع، وإبعاد المؤلف بموته، إلى تفاعلية القارئ لثقافته وقدرته على إحياء النص، أو تملكه بإعادة إنتاجه وتأويله، والنظر إليه بنية داخلية، أو خارجية؛ تحليلاً، ثم تأثيراً واستجابة، ولمعانيه ودلالاته وإبداعه كشفاً، في رحاب "نظرية التلقي"، وجمالياتها في فلسفات الدرس الحديث<sup>(١٩٣)</sup>، تلك النظرية . التلقي . التي تتأسس مفاهيمها على شبكة معقدة من العلاقات تتجلى في ثلاثة محاور رئيسية: النص والمؤلف والقارئ، وتقوم افتراضاتها على غايات عامة تسعى إليها بقوة، وهي البناء المعرفي وإمكاناته، والكشف الإبداعي، والفهم والتفسير والتأويل. وهو الأمر الذي أسهم في إنتاج "علم القراءة"<sup>(١٩٤)</sup>.

واتخذ . أعني مفهوم الاستفهام الكلي في: ما القراءة؟ . توصيفات متعدّدة تعارضت وتوافقت، اكتسبت عنوانات مصطلحية وفنية مختلفة؛ تلبية إجابته، جعلت "تودوروف" مثلاً في مقالته: "القراءة بناء"، ينحاز إلى قول يختبرها تجربة، لا نظراً فحسب، قال: "ما هو كلي الحضور غير مدرك، فمع أنّ تجربة القراءة تُعدّ أمراً مألوفاً جداً، إلا أنّها مجهولة إلى حدّ كبير، فالقراءة عملية طبيعية يبدو، للوهلة الأولى، أن ليس ثمة شيء يُقال عنها"<sup>(١٩٥)</sup>.

وليس غريباً أن يصدر الموقف التجريبيّ دون النظريّ لـ"فعل القراءة" هكذا من "تودوروف"، فأشكاليتها معقدة تقارب إشكالية النص نفسه، ناهيك بلغته وتجلياته، كما تقدّم بنا سابقاً، وإذا كانت القراءة قد تكوّنت بتكوّن النص، فهي تحوي أركان توصيفها انطلاقاً من التلقي نفسه في ثلاثية أقطابه المتقدّمة؛ إنّها تشكّل علاقات وعوالم تسبق النص، لتكون فيه، ثمّ بعده في البناء والتأويل والفهم، على مستويات عالية من التعقيد.

ولذلك حين ذكر "تودوروف" أنّ مسألة القراءة عُرضت، في الدراسات الأدبية، بمنظورين متعارضين، الأول: يعنى بالقراء وتتنوعهم الاجتماعي والتاريخي والجمعي أو الفردي. والثاني: يعنى بصورة القارئ كما تمثّلت في نصوص معينة: القارئ بوصفه "شخصية"، أو بوصفه "مروياً عليه". استدراك قائلاً: "هناك منطقة غير مستكشفة تقع بين المنظورين: إنّها ميدان منطقة القراءة، ورغم أنّه غير متمثّل في النصّ، فإنّه مع ذلك سابق على التّنوع الفردي" (١٩٦).

إنّ هذا التّصوّر الاستدراكي، مع الوصف الميداني لـ"فعل القراءة"، هو الذي أجرى لنفس "تودوروف" أن ينشئ مقالة تتصف فيها القراءة، صدرًا، بأنّها "بناء". فإدراك رواية ما، مثلاً، يقوم، بحسبه، على تحويل نصّها بموجب التمثيل ونقل الواقع الذي يسبقها؛ لبناء عالم متخيّل خاصّ، تتقاطع فيه الرّؤية، ولا يتفق فيه وصفان عند القراءة أبداً، بسبب نفسية كلّ قارئ فيما يصف (١٩٧\*)، فالقارئ لا يصف عالم الكتاب، بل يصف عالماً ما وقد حولته نفسه إلى عالم آخر. ثمة قطبان، أو رؤيتان إذن: رؤية المؤلّف الذي يثير ذلك العالم، ورؤية القارئ الذي يبنيه، وما بينهما مرجعيّات النصّ التي تبدأ فيها القراءة عملها (١٩٨).

وقد ترشّح نفسها هذه "القراءة بناءً"، لما فيها من اتّساع معنّى، وإثراء دلالة في مفهوم "بنية"، تكويناً وإنتاجاً. أصلاً وقاعدة؛ لتكون كياناً ذا وجوه متعدّدة، يقول فانسون جوف: "القراءة نشاط معقدّ متعدّد، ينمو في اتجاهات عديدة"،... القراءة سيرورة، أو عمليّة من خمسة أبعاد (١٩٩)، وهي: ١. القراءة سيرورة ذهنيّة ذهنيّة. فيزيولوجية (٢٠٠)، ٢. سيرورة معرفيّة (٢٠١)، ٣. سيرورة عاطفيّة (٢٠٢)، ٤. سيرورة حاجبيّة (٢٠٣)، ٥. سيرورة رمزيّة (٢٠٤).

وقد تتنرّل، بالرّغم من اتجاهاتها المختلفة، موافقةً مع ما تذهب إليه الأستاذة "سيزا قاسم" في أحد أقوالها: "إنّ القراءة خبرة محدّدة في إدراك شيء ملموس في العالم الخارجي ومحاولة التّعرف على مكوّناته وفهم هذه المكوّنات: وظيفتها ومعناها. هذا التّعريف العريض لعمليّة القراءة ينطبق على كثير من الأنشطة البشريّة في التّعامل مع معطيات الواقع... (٢٠٥)؛ لتؤبّس، من بعد، بالتّوصيف قولاً آخر: "القراءة في المقام الأوّل عمليّة واعية... عمليّة مركّبة ومعقدة ذات مراحل ومستويات متعدّدة" (٢٠٦). وهي مراحل ومستويات، كما سيأتي ذكرها، في عمليّة القراءة تهدف إلى معرفة مفاهيميّة التّفكير، الغاية.

وقد تأخذ فاعليّة القراءة منحاً إجرائيّاً خاصّاً في التّحليل والبناء والإدراك الموضوعي؛ لتكون نشاطاً متماهياً قائماً على وسائل بـ"فعل التّحقّق" القرائيّ، في فعل القارئ حين التّفاعل مع النصّ. يقول إيزر: "إنّ القراءة نشاط موجّه من طرف النصّ... (٢٠٧). وكون القراءة "تفاعلاً دينامياً بين النصّ

والقارئ<sup>(٢٠٨)</sup>، إنّما يتكئ أساساً على أنّ "قراءة كلّ عمل أدبيّ هو التفاعل بين بنيته وملتقىّه"<sup>(٢٠٩)</sup>. ولأنّ القراءة تختلف عن أشكال التفاعل الاجتماعيّ الأخرى من دون وجه لوجه، ولأنّ "النصّ وليد خارج واقعيّ لا متناه... ولأنّه يدمج ملتقىّه في تركيبه ملامحه، فإنّه يبني لنفسه منطقة تعدّد للسمات والفواصل تمكّن كتابتها غير الممرّكة من ممارسة تعدّد لا يقبل الوحدة أبداً"<sup>(٢١٠)</sup>؛ لذا تعمل القراءة على رآب الصدع بين القارئ والنصّ، وسدّ النقص الحاصل في القصد؛ من خلال التفاعل بملء الفراغات التي يرشد إليها النصّ بدليل من المؤلّف. أي: الاحتمالات والبياضات والفضاءات، والتقاطعات الاعتباريّة التي تُثير دهشة السؤال، والتوقّف عن مواصلة فعل القراءة؛ لعدم المماثلة بينهما: النصّ والقارئ<sup>(٢١١)\*</sup>؛ وذلك لتحقيق مبدأ التوازن بينهما؛ قصد التّواصل والفهم<sup>(٢١٢)</sup>.

إنّ هذه الصّلة بين الحضور والغياب هي صلة حياة للنصّ؛ ذلك لأنّ النصّ ينتصب أمام القارئ في حضور معلق لحكم مبهم، والمطلوب من القارئ هو أن يوجد العناصر الغائبة عن النصّ، لكي يحقّق بها للنصّ وجوداً طبيعياً، أو قيمة مفهومة، ويعتمد النصّ على هذه الفعاليّة اعتماداً كاملاً، ومن دونها يضيع النصّ<sup>(٢١٣)</sup>، حقّه.

ولذلك تمثّلت القراءة عند بعضهم في توصيف البناء والخلق والإبداع والتّعُدّد مفهوماً، وتعيّنت، في بعضها، مصطلحاً، في قول: القراءة تخلق النصّ<sup>(٢١٤)</sup>. وهي الإنجاز الفعليّ للنصّ<sup>(٢١٥)</sup>. إنّها عمليّة تقرير مصير بالنسبة للنصّ<sup>(٢١٦)</sup>. والأخير لا وجود له إلا بها<sup>(٢١٧)</sup>.

. القراءة عمليّة لتجميع المعنى أو لبناء الموضوع الجماليّ في وعي القارئ<sup>(٢١٨)</sup>.

. القراءة تفاعل بين موضوع النصّ والوعي الفرديّ للذات القارئة، ومن هذا التفاعل تنتج دلالة النصوص التي هي مفتوحة قابلة لمستويات متعدّدة من القراءة<sup>(٢١٩)</sup>.

. القراءة شكل من أشكال إنتاج النصّ، وهي عمليّة إعادة بناء للمعنى ذهنياً أو كتابياً، إنّها البناء التركيبيّ والدلاليّ في نفس الوقت للموضوع السيميائيّ الذي هو النصّ. العلامة. وهي بهذا تمثّل معنيين: الأوّل: داخل الخطاب العلميّ. السيميائيّ، وهو النقد والتحليل وفهم النصّ وانتاجه. والثاني: في معنى التحويل الذي يرى أنّ القراءة نشاط وظيفته دمج المضمون بالتعبير<sup>(٢٢٠)</sup>.

. القراءة عمليّة خلاقة إبداعية تعبّر عن محاولة القارئ المنتظمة لإنشاء معنى، أو أكثر ضمن أحكام اللّغة وقواعدها<sup>(٢٢١)</sup>. حتّى قيل: "على الإنسان أن يكون مخترعاً إذا أراد القراءة جيّداً"<sup>(٢٢٢)</sup>.

. القراءة مرتبطة ارتباطاً عضويّاً بالعمليّة الإبداعية، وكلّما ازداد إدراكنا للعمليّة الإبداعية، وفهمنا لميكانيزماتها الفاعلة كلّما كان فهمنا للفعل القرائيّ أخصب وأبعد إيغالاً في عالم المعنى<sup>(٢٢٣)</sup>.

وقد يتّوج هذه المفاهيم باقتها قول "سارتر": "القراءة حقاً عمليّة تركيبية للإدراك والخلق، وهي تفترض حتمية المؤلّف وإنتاجه معاً، فإنتاجه حتمي لأنّه بالضرورة متعال، ولأنّه يفرض مقوماته الخاصة التي يجب أن يكون القارئ لها في حال انتظار وملاحظة. والمؤلّف كذلك حتمي لا لأنّ القارئ يكتشف موضوعه فحسب (أي يبرزه إلى الوجود)، بل لأنّه يجعل هذا الموضوع ذا وجود مطلق، (أي أنّه ينتجه)، وموجز القول إنّ القارئ على وعي بأنّه يكتشف الموضوع ويخلقه، فهو يكتشفه في الخلق ويخلقه بهذا الاكتشاف"<sup>(٢٢٤)</sup>.

وقد تلخّص القراءة نفسها، بالرغم من إشعار حرف: "يصعب تحديد مفهوم القراءة ذلك أنّ القراءة مصطلح بعيد عن التّحديد والانضباط"<sup>(٢٢٥)</sup>، في مصطلحية قول: "تعني القراءة في (السيمانيات الأدبية) تشغيل مجموعة من عمليات التّحليل، وتطبيقها على نصّ معطى، وتقدّم هذه القراءة نفسها إنتاجاً مقابلاً للوصف أو الشّرح الكلاسيكي للنّص الأدبي، إنّها قراءة لاشتغال النّص، أي للعمليات التي تؤسّسه نصّاً من النصوص، أو هي قراءة لإنتاجيته، وتتسم بكونها قراءة غير منتهية، ما دامت تظلّ مفتوحة أبداً على قراءات أخرى، معتمدة على تقنيات تحليلية أخرى، عادةً نفسها تطبيقاً وممارسة"<sup>(٢٢٦)</sup>.

وقد انبثقت من تركيب ما تقدّم إجراءات مفاهيمية حدّدت للقراءة أنواعاً شتى، وأنماطاً مختلفة، وأدواراً ومستويات وعلاقات، كلّاً منها يحكي جذور حياكته المبدئية، فثمة ما يتّصف بالحدثية، منها: القراءة الأنسنية، والقراءة العقلانية، والتاريخية، والتشطيرية والتأويلية، والاستشراقية<sup>(٢٢٧)</sup>. وأخر تتمثل بمستوياتها المعرفية، منها: الاستساخية والتشخيصية<sup>(٢٢٨)</sup>، والتشريحية<sup>(٢٢٩)</sup>، والإسقاطية، والتعليقية/الشارحة، والشعرية<sup>(٢٣٠)</sup>، والاستهلاكية، والمنتجة، والأفقية والفاعلة<sup>(٢٣١)</sup>، والساذجة والعارفة "ذات الخبرة" النقدية<sup>(٢٣٢)</sup> والخطية<sup>(٢٣٣)</sup>، والمنفتحة والمنغلقة<sup>(٢٣٤)</sup>، وغيرها من القراءات<sup>(٢٣٥)</sup>.

ولأنّ لكلّ منها آليات ومستويات معقّدة مخصصة بالتوصيف يتسبّب بها إجراء، وينعقد على طريقه رأي وإنتاج، اكتسب القارئ بعضاً من ألوانها، فكان القارئ الحقيقي المعاصر والافتراضي المثالي<sup>(٢٣٦)</sup>، والضمني<sup>(٢٣٧)</sup>، والأعلى<sup>(٢٣٨)</sup>، والأنموذجي<sup>(٢٣٩)</sup>، والمنتج والمستهلك<sup>(٢٤٠)</sup>، وغيرها من الأوصاف<sup>(٢٤١)</sup>.

وانسحبت أيضاً على النصوص، فتصنّفت مطرزةً بأشكال، منها: النّص المغلق والنّص المفتوح<sup>(٢٤٢)</sup>، والنّص الكتابي، وهو الذي يعود إليه القارئ أكثر من مرة، كلّ مرة فيه عودة جديدة وتأويل، ويتّصف القارئ فيه بالمنتج، إنّهُ الحضور الأبدي للنّص، كما يقول "رولان بارت". والنّص القرآني، وهو الذي يستهلك في القراءة، فلا يُعاد تحقّقها إلا مرةً واحدة<sup>(٢٤٣)</sup>.

لقد أُنشِدت القراءة بالمتقدّم مستويات جهازها التكوينيّ في التلقّي، وعبرت عنه صراحة بعدم التقييد في مجال دون آخر، بل كانت تنشر سلوكياتها ممارسة في كلّ مفاصلها، والجامع فيها هو مسرح النّصّ. مركزيّة الفكر؛ بوصفه قطب الرّحى التي تدور في فلكه جدليّة الحضور والغياب؛ رصد المقاصد والمعاني والدلالات التي يبثها المؤلّف في رسالته، وملاحقة القارئ لها، بسمات وعلاقات ترتقي إلى مستوى من المعرفة والفهم، ليس هي للمؤلّف فحسب، ولا هي للقارئ فحسب، بل لخصوصيّة التفاعل والكشف تضافراً.

**فعل القراءة ومدارج الفهم والتفسير<sup>(٢٤٤)\*</sup>. الغرض الغائيّ وتضافر الوسائل والأهداف:**

لا ريب في أنّ النّصّ. كونه "وحدة تواصلية". يحمل رسالة المؤلّف ضرورةً، وفي الأخير رغبة في أن تصل إلى أقصى ما يريده من الفهم والقصد، وقد يتعيّن على القارئ إجابته بقدر الوسع احتراماً، وربما يسخر له من طاقاته الكثير؛ لكي يصل معه إلى عطاء النّصّ فهماً وتفسيراً ومعرفةً!. ولأنّ النّصّ يجري على سنن إرساله وأنظمة تكوينه الخاصّة؛ لذا تقترح فعالية القراءة أن تكون ثمة مدارك ومراحل لتشريح النّصّ؛ من أجل النّفاذ إليه بوساطتها، وتعمل هي بدورها فيه فعلها، وهي مراحل ومستويات من المعرفة تنشر نفسها على فعل القراءة، لأنّها مشتقة منها، فكلّ مرحلة منها عبارة عن فعل معيّن من أفعال القراءة. فما تلك الدّرجات المعرفيّة التي ترتقي بها أفعال القراءة؛ للوصول إلى مدارك الفهم والتفسير والتأويل، والاستيعاب والانتاج إذن؟، وما الذي ينبغي أن يكون عليه القارئ من صفات ومؤهلات؛ ابتغاء ما يصبو إليه النّصّ تفاعلاً؟.

لأنّ النّصّ يتّصف بكونه برمجة، فإنّ القراءة تنشئ مع القارئ "عقداً"، وميثاقاً يتّصف بسمتها "عقد/ميثاق القراءة"<sup>(٢٤٥)</sup>، وهما جملة من الاتفاقات والمعايير التي ينبغي على القارئ أن يلتزم بها التزام معرفة وتفعيل، "تفكيك سنن الإرسالية"<sup>(٢٤٦)</sup>، ومجامع عقدها النّصيّة؛ للوصول إلى "الدّلالة المودعة في النّصّ مسبقاً"<sup>(٢٤٧)</sup>، تلك الدّلالة، التي تمثّل أحد مستويات الفهم. ولأنّ ذلك العقد يستلزم إنجاز موجهه، على الافتراض، وهو الفهم والتفسير، لذا فإنّ إدراك مقولة: "كيف يقول النّصّ ما يقول"، تقتضي أهليّتين في فعل قرائيّ مركّب، كما يقول "إيكو"، وهما أهليّة القارئ (في معرفته بالكون الذي يتحرّك داخله)، وأهليّة ما يستدعيه النّصّ نفسه؛ لكي يُقرأ قراءة معرفيّة<sup>(٢٤٨)</sup>.

وهنا يتجلّى النّصّ، وله جانبان: موضوعيّ يشير إلى اللّغة، وهو المشترك الذي يجعل من عمليّة الفهم ممكنة، وذاتيّ يشير إلى فكر المؤلّف ويتجلّى في استعماله الخاصّ للغة، وهذان الجانبان يشيران إلى

تجربة المؤلف التي يسعى القارئ إلى إعادة بنائها؛ بغية الفهم والاستيعاب، وللقارئ أن يبدأ بأي واحد منهما، فكل منهما صالح لفهم النص<sup>(٢٤٩)</sup>.

ولا ريب في أن عملية فهم النص واستيعابه وإنتاجه، لأي من الجانبين، ليست عملية سهلة، كيف وقد فهمت النصوص على أنها أنظمة تشتغل على أكثر من مستوى، و"ظواهر مؤسسة إدراكياً"<sup>(٢٥٠)</sup>، أو "نتائج عمليات عقلية ومبادئ إدراكية"<sup>(٢٥١)؟!</sup>، وإذا كان التأويل، على إشكالياته، هو "إقليماً خاصاً من أقاليم الفهم"<sup>(٢٥٢)</sup>، فكيف بإشكالية فهم النص نفسه. إنها عملية معقدة متشابكة، "عملية استراتيجية بوجه خاص،... عملية إدراكية مميزة لاستيعاب ارتباط الوعي"<sup>(٢٥٣)</sup>. يقول هاينه مان: "يكمن جوهر عملية الفهم في رأينا تماماً في هذا الاستيعاب العقلي للمعلومات، والبناء الذي يدور معه لمغزى النص من قبل المتلقي"<sup>(٢٥٤)</sup>، وذلك بإدراك عناصر النص، جميعها، في ترابط متسق، وتحويل الإشارات اللغوية إلى أبنية جزئية ودلالية، بشكل واع، ثم وضعها في علاقات وإحاطها بالمعنى المكتشف<sup>(٢٥٥)</sup>، وكأنه يصل بذلك إلى سمة من امتلاك النص.

ولذلك عرفه، أي: "الفهم"، "رتسيسلاف" بالقول: "تعني بفهم النص عمليات امتلاك النص التي يشترك فيها كل شركاء التواصل، أي المرسل والمستقبل أيضاً"<sup>(٢٥٦)</sup>. وعُدّ، أعني: "فهم النص أحد ضروب المعرفة... وهو مرحلة أكثر تطوراً من قراءة النص، أو الاستماع إليه، فمن الجائز أن يقرأ الإنسان كتابة معينة، أو يصغي لكلام معين دون أن يفهم معناه"<sup>(٢٥٧)</sup>. وجعل لعدمه، أي: عدم الفهم، مقياس؛ لإتمام الفهم، وعلى المرء. كما يقول "رتسيسلاف". "أن يراعي في الفهم سوء الفهم أو عدمه"<sup>(٢٥٨)</sup>، أيضاً.

ولأن عمليات فهم النص، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجمهرة قراءاته، وسلوكيات غاياتها وأهدافها، فضلاً عن ارتباطه الشديد بتحليله واستيعابه وإنتاجه، بل لا يستقل كل منها عن الآخر<sup>(٢٥٩)\*</sup>، لما يتضمنه النص من وظائف تفاعلية<sup>(٢٦٠)</sup>، فقد قُدمت عروض ونظريات<sup>(٢٦١)</sup> كثيرة، تمثل تلك المراحل والمستويات التي يقوم عليها الفهم والإدراك في فعل القراءة للنص. ولعلّ مقارنة النظرية الجشطالتيّة<sup>(٢٦٢)\*</sup> واحدة من تلك، ويبدو أنها من أهمها في نظر الدارسين؛ لما قدّمته من مستوى معرفي ينتقل من الحسي إلى المعنوي، إذ انعكست محاورها على أربعة مستويات معرفية، هي: ١. المعرفة الحدسية، وتنتج القراءة الحدسية، وظيفتها التذوق والمتعة. ٢. المعرفة الأيديولوجية، وتنتج القراءة الإيديولوجية، ووظيفتها المنفعة. ٣. المعرفة الذهنية، وتنتج القراءة المعرفية، ووظيفتها التحليل. ٤. المعرفة الاستمولوجية، وتنتج القراءة المنهجية، ووظيفتها التأمل المقارن. وهي مستويات لا تجعل سمة التوصيف فيها متباعدة، بل إنها لتلتقي وتتداخل، ولا تميز فيما بينها إلا بما تفرضه هيمنة إحداها على الأخرى<sup>(٢٦٣)</sup>.

والحقُّ أنَّ ثَمَّةَ مستوياتٍ وفرضياتٍ في "تكوثر" فهم النَّصِّ واستيعابه، تمثِّل افتراضاً مسبقاً، تُضاف إلى ما ذُكِرَ، تكشف عنها قراءات أخرى<sup>(٢٦٤)\*</sup>؛ ولأنَّها كثيرةٌ كثرةٌ تقع على امتداد النَّظَرِ المعرفيِّ طويلاً وعرضاً وعمقاً، لذا ننتخب تصوراً بعضاً منها في قراءات، وهي قراءات متداخلة في النَّظَرِ، يمكن أن تتصافر فيها المستويات جميعاً؛ لتكوين منظومة فعل القراءة وآليات الفهم والتفسير:

### القراءة الأولى:

تحرَّرَ هذه القراءة. وهي قراءة "هاينه مان". نفسها في جملة من الأسئلة وتحاول الإجابة عليها، في نظامٍ وصفيٍّ وتخطيطيٍّ شاملٍ وكبيرٍ، في: كيف تتم عمليَّة فهم النَّصوص واستيعابها بالتفصيل؟، وما الخطوات الجزئية الإدراكية التي تنجزها عمليَّة استقبال المعلومات النصّية، ويكون لاستيعابها الإدراكي وتكوينها معنى نصيٍّ؟. يقدِّم "هاينه مان" منطلقات تقوم عليها عمليَّة فهم النَّصِّ واستيعابه تكون بمنزلة الفروض الأساسية، وهي<sup>(٢٦٥)</sup>:

. ليس منطلق فهم النَّصِّ ذاته، بل التوجّه إلى الهدف منه. وهو الأمر الذي تتباين فيه استراتيجيات القراء وتفاعلاتهم مع النَّصِّ، لأنَّ فهم النَّصِّ تكييفُهُ الاهتمامات عندما يصير مثيراً للتلقي، ما يسمح بتعدُّد القراءات<sup>(٢٦٦)</sup>.

. فهم النَّصِّ لا يقع إلا على أساس دلاليٍّ، وهو ما يقتضي تحويل إشارته إلى دلالات، ترتبط بعلاقات لبناء إدراكيٍّ، على أساس أنَّ كلَّ معلومة في النَّصِّ تقوم بدور قرينةٍ ودليلٍ وإشارةٍ، ولذلك تؤدِّي المعطيات النّحوية والمعجمية في النَّصِّ دوراً كبيراً في فهمه، فضلاً عن إدراك السياق<sup>(٢٦٧)</sup>.

. ليس فهم النَّصِّ تمثيل المعلومات من دون إدراك وحداته على قاعدة: أنَّ النَّصِّ لا يُدرك كُله دفعةً واحدةً، وما يجب على القارئ من معرفة الكتل اللغوية المدركة؛ بوصفها قضايا لغوية لاحقة، وجعلها في وحدات معنوية أكثر تعقيداً، وإدخال باستمرار عناصر معرفية سابقة في المعنى<sup>(٢٦٨)</sup>.

. أنَّ عمليَّة فهم النَّصِّ عمليَّة صاعدة لتلقيه جملةً فجملةً، ثمَّ استيعابها، بيد أنَّها تُعدُّ في الأساس عمليَّة هابطة، تحديد للوحدات للمعلومات وتكوين مغزى النَّصِّ، انطلاقاً من الكلِّ المتفاعلي، والكلِّ النصّيِّ، إذ يستدل المفسِّر باستمرار على عناصر معرفية ويستوعب المتابعة بشكل دائريٍّ<sup>(٢٦٩)</sup>.

ولتقييد بفعالية القراءة أكثر، تعرض عمليَّات فهم النَّصِّ، بوصفها مراحل، وتواليًا لعمليات استيعابه، إنَّها الخطوات الجوهرية للمعرفة الإدراكية للنصوص (عمليَّات فهم النَّصِّ)، و(تحليل النَّصِّ)، و(وصف النَّصِّ)، مع التنبية على ما ينبغي أن يعكسه مفهوم "إدراك" معنى النَّصِّ من الإجراءات المتنوعة التي تُعدُّ، كما تقدِّم أساسيات لفهم النَّصِّ، وهي<sup>(٢٧٠)</sup>:

التوجيه القبلي للمتلقّي. تنشيط نموذج نصّي معيّن مناسب لوضع التفاعل ونوع النصّ. إدراك الإشارات النصّية البارزة "العنوان، والتخطيط..." وتحديدّها مع إلحاق قضيويّ "موضوع النصّ وتوقعه". إدراك الكتل اللفظية للجملة الأولى وتحويل الوحدات إلى أبنية دلالية مناسبة. إدراك متتابع لتكل لفظية أخرى وجمل وفقرات، فضلاً عن تحويلها إلى أبنية دلالية، تدمج مع عمليات استدلالية مستمرة. استنتاج معانٍ نصّية جزئية في ترتيب أعلى باستمرار حتّى إدراك المعنى النصّي وتكوين مغزى النصّ.

#### القراءة الثانية:

تتوقّف أفعال الفهم عند "رتسيسلاف"<sup>(٢٧١)</sup> على كثير من العوامل، منها ثلاثة عوامل رئيسة، هي العامل الاجتماعيّ: كلّ فهم إنّما يتحدّد اجتماعياً؛ لأنّه يتعلّق بمعايير سارية بين الأفراد، وهي الأعراف وأوجه الالتزام الاجتماعيّ. والعامل الخاصّ بلهجة الفرد: أي الذاكرة اللغوية والنصّية للفرد. وعامل خاصّ بزمن النصّ: يعني العلاقات والعلامات بين منتج النصّ ومتلقّيه، وهو على مفارقات: ١. فهم مسبق يصوغه منتج النصّ، ٢. فهم مسبق يتنبأ به متلقّي النصّ. ٣. فهم بعدي محدّد. ٤. فهم بعدي مفسّر من خلال شريكي التّواصل.

ثمّ من بعد، يعقد "رتسيسلاف" مرةً أخرى لفهم النصّ ثلاثة مكونات في الأقلّ، وهي المكوّن البراجماتيّ، والمكوّن الدلاليّ وما فيه من افتراضات مسبقة، والمكوّن النحويّ وما فيه من وسائل نحو النصّ. كلّ هذه المكوّنات تتضافر لتوصيف فهم النصّ<sup>(٢٧٢)\*</sup>، ولاسيما الفعل الكلاميّ. البراجماتيّ منها، ذلك المكوّن الذي تتبعه مواقف أدوار/المتكلّم والسّامع، بوصفها عناصر أساسية. ولما كان كلّ منهما يتفاعل مع الآخر بطرق مختلفة بحثاً عن الفهم. ثبت بداهة إمكان ذلك وضرورته لنظريات المتكلّم والسّامع أو للسّانيات المتكلّم والسّامع.

ويمكن أن تعلّل اختلاف منظورات المتكلّم والسّامع التساؤلات التالية التي يجب أن تُفهم، بوصفها تفسيرات أساسية للموقف: ١. من منظور المتكلّم: ماذا أقول لكي يفهمني السّامع؟. ٢. من منظور السّامع: ماذا يعني المتكلّم بما قال؟.

يقول "رتسيسلاف": "بينما يبرز علم لغة المتكلّمين جانب الإنتاج المقصود (توليد) لتعبيرات لغوية (منطوقات، نصوص)، يركّز علم لغة المستمعين آخر المطاف على الجانب الاستكشافيّ لمناهج تفسيرية، يعمل بمساعدتها في النصّ المعطى"<sup>(٢٧٣)</sup>.

## القراءة الثالثة:

تتسج الباحثة الكريمة "سيزا قاسم"، وفي رغبة منها لمعرفة العلاقة بين القارئ والنص هاتين الحقيقتين المتواجهتين، لكي تحدد نوع العلاقة التي تربط بينهما، القول: "إن نوعية العلاقة التي تربط بين القارئ والنص تتحدد من خلال وعي الذات بنفسها، ووعيا بالنص الذي تتلقاه، فالذات المدركة من جانب ووعيا بالنص المدرك من جانب آخر يتم التفاعل بينهما طبقاً للتصورات العامة السائدة في الثقافة المعاصرة لعملية القراءة التي تشكل وعي القارئ بهاتين الحقيقتين...<sup>(٢٧٤)</sup>؛ للوصول إلى هدف، أن القراءة هي البحث عن الدلالة المودعة في النص مسبقاً...<sup>(٢٧٥)</sup>.

ثم تنهج لتؤسس مفهوم فعل القراءة من مستويات أربعة، تقود إلى غاية كبرى، وهو الاستيعاب الذي يفضي إلى معايشة فعلية للنص، تقول: "أقدم عملية القراءة على أنها تسلق سلم حلزوني يبدأ بالطابق الأول، وهو طابق العلامات بكل أنواعها، ثم التوصل إلى الطابق الثاني، طابق اللغة الخاص بكل نص، ثم الطابق الثالث، وهو طابق تفسير النص وتأويله، إلى الطابق الرابع، وهو القمة التي يمكن أن نصل إليها، وهو طابق الاستيعاب، أو تحويل النص إلى معايشة فعلية"<sup>(٢٧٦)</sup>. ثم في محل استدراك بالعودة إلى التوصيف القرائي، تقول: "القراءة في المقام الأول عملية واعية... عملية مركبة ومعقدة ذات مراحل ومستويات متعددة، وكما ذكرنا هنا أربعة مستويات...<sup>(٢٧٧)</sup>. وهذه المستويات هي: الإدراك، والتعريف، والفهم، ثم التفسير"<sup>(٢٧٨)</sup>.

أمّا الإدراك، فهو مستوى حسّي يعتمد على الحواس، لشيء مادي في عالم الواقع. وأمّا التعريف، فينطوي على عملية ذهنية تستكنه طبيعة السيميوطيقية لهذا الشيء، وهو، وإن كان مادياً إلا أنه ينتمي إلى نظام سيميوطيقي، والعلامة شيء مزدوج البنية، لها جانبان: مادي ومعنوي، وهو الدلالة. وأمّا الفهم، فهو محاولة فك شفرة العلامات، وهو المستوى الأولي للتوصل إلى الدلالة التي تستند إلى الاصطلاح والمواضعة بين المتخاطبين. وعند هذا المستوى تتوقف عملية القراءة، إلا إذا كانت الدلالة مبتورة أو غامضة؛ فتأتي حينئذ عملية التفسير، وهي المرحلة المتممة لمرحلة الفهم.

القراءة هنا إذن، عملية تصاعديّة من الأسفل إلى الأعلى في فهم النص، وهي، وإن قدمت الطابق الأول الذي يمثّل مستوى التعريف، إلا أنها جعلت مستوى الإدراك في المستويات الأولى، تلك التي ليس فيها إلا الترتيب والتنظيم، ثم جعلت التفسير المرحلة النهائية في الفهم والاستيعاب، وكأني بالأخير، وهو الاستيعاب مرحلة خامسة، ولكنها تتماهى في توصيفها مستوى مضمناً في عملية التفسير وتعايش مع النص، كل ذلك في ضوء تساؤلات عن العلاقة بين النص القارئ، سيطرة، أو

قوة، أو تبعية، أو تكافؤ، ومن يتبع مَنْ؟ أ القارئ يتبع النَّصَّ أم العكس؟، وإذا كانت ثمة دلالة فمن أين تُؤخذ أ من النَّصِّ، أم من المؤلف، أم من القارئ؟. وهل تكتفي بذلك!، إنَّ قيمة التَّوجيه لآليات الفهم وقواعد استيعاب النَّصِّ على مكانته في هذه القراءة، لتقدّم امتيازاً آخر في توصيف القراءة بالتدبُّر والتأمُّل، اجتراحاً من قراءة المدونة التراثية وكتب علماء القرآن وموضوع التفسير خاصة، بعد نقد مَنْ يرى، ومن دون إدراك للأطر العامة، أنَّ القراءة النَّقلية قراءة سلبية، والقراءة العقلية قراءة إيجابية؛ لأنَّ الأولى قائمة على التَّمصُّص، وترك إعمال العقل، أمَّا الثانية، ففيها من النَّقد والحوار سمات، تقول: "إنَّ قراءة النَّصِّ الديني من داخل إطار الإيمان توجه القارئ توجهاً خاصاً. إذ تخضع لهذا الإيمان خضوعاً تاماً يوجه الباحث وهو يتفاعل مع نصّ تحيط به قدسية وهالة ورهبة تجعل الاقتراب منه محاطاً بالمحاذير... إذا تأملنا هذه القراءة فإنَّ القارئ يبحث في النَّصِّ الذي يقرؤه عن المعنى والدلالة، والحقيقة والهداية، وأيضاً عن نفسه... إنَّ القراءة لم تكن سلبية، بل كانت أقرب إلى المجاهدة،..."<sup>(٢٧٩)</sup>.

#### القراءة الرابعة:

تعقد هذه القراءة معنى النَّصِّ وفهمه على التفسير ابتداءً وانتهاءً، حتَّى كأنه مقولتها، إذ ترى أنَّ "معنى النَّصِّ أمر خفي يمكن الإفصاح عنه بالتفسير. فدلالة النَّصِّ على المعنى تنتهي عبر عملية التفسير، بل إنَّ النَّصِّ يتكلّم جهازاً عن طريق التفسير، ويبيدي للعيان ما كان يضمّره في داخله، وبرغم أنَّ دلالة النَّصِّ على المعنى ذات صلة وثيقة بقواعد الدلالة (Semantic) لكن الوسيلة التي تحفز قواعد الدلالة على العمل هي التفسير، فقواعد الدلالة شأن من شؤون اللّغة والكلام، والتفسير هو العملية التي يضطلع بها من يفهم النَّصِّ، ويمنح من خلالها للدلالة قدرتها على الفعل المجدي، فلولا التفسير لما أفصح أيّ نصّ عن نفسه بنفسه،..."<sup>(٢٨٠)</sup>.

وترى هذه القراءة أنَّ القول بحاجة النَّصِّ إلى التفسير، يتركز على مبدئين نقديين: الأوّل: هو أنَّ النَّصِّ غير معناه، والمعنى لا يمكن أن يكون بذاته ظاهراً جلياً. والثاني: هو أنَّ المعنى غير منفصل عن النَّصِّ أو أجنبي عليه، بل النَّصِّ هو أساس المعنى المقصود. هذان المبدآن يحولان دون النَّظر إلى النَّصِّ بطريقة سطحية، وكذلك دون التَّصوُّر الساذج القائل: بالإمكان فهم المعنى من دون التفسير<sup>(٢٨١)</sup>.

وتقوم العملية التفسيرية التي ترمي إلى فهم النَّصِّ في هذه القراءة، على ثلاث رؤى نقدية أساسية، هي<sup>(٢٨٢)</sup>: ١. الفهم الصحيح للنَّصِّ لا يتمخض إلا عن التفسير. ٢. يمكن تفسير النَّصِّ الواحد بعدة

أشكال، ولكل نصّ وجوه متعدّدة، ولا يمكن أن يحصل فهم النصّ بالبداية. ٣. ينبغي تشخيص المعنى الصحيح للنصّ واختياره، واستبعاد المعاني والتّفسير الخاطئة.

واقترحت خمس قضايا رئيسة أخرى مثّلت خلاصة ما انتهت إليه الدّراسات المعمّقة لتفسير النصّ وفهمه، شكّلت بدورها مقومات عمليّة التّفسير التي تقضي إلى الفهم وإدراك النّصوص، وهي (٢٨٣): ١. قبليّات المفسّر وأوليّاته. ٢. ميول المفسّر وتطلّعاته. ٣. استنطاق التّاريخ. ٤. تشخيص مركز المعنى (البؤرة) وتفسير النصّ كمجموعة تدور حول هذا المركز. ٥. ترجمة النصّ إلى الإطار التّاريخي للمفسّر (قراءة النصّ في ضوء الظروف التّاريخيّة للمفسّر).

#### القراءة الخامسة:

عمليّة فهم النصّ في هذه القراءة يجري على توصيف "محاورة النصّ"، وقد صنفت مستوياتها بحسب الجهد المبذول من القارئ والفعاليّات التي يمارسها في أثناء تلقّي النصّ واستيعابه إلى ثلاثة مستويات. على تفضيل التّعبير عنها بالفعاليّات لأمرين: أنّها تجسّد حركيّة فعل القراءة والتلقّي. وأنّها ليست ثابتة مضبوط معلومة الحدود. وإنّما تتداخل وتتمازج في أثناء ممارسة فعل القراءة، ولا يمكن تحديد هذه الفعاليّات إلا بالنظر إلى سيطرتها على نوع معيّن من القراءة دون أخرى (٢٨٤). وهذه الفعاليّات، هي:

١. الفعاليّة التّوثيقية (٢٨٥): هي أقرب إلى القراءة الاستهلاكيّة، قراءة ذات بعد واحد، وهي آليّة لمحاورة النصّ، تؤمن بوجود معنى جامع في النصّ، وتحاول البحث عنه والوصول إليه، تأخذ النصّ لتقوم بشرحه وتوضيحه، ولا تتجاوز ظاهره، إنّها قراءة تعدّ النصّ ذاكرة ومحزن معلومات يجري اكتشافه واستجوابه، وليس عبارة عن مثير لأسئلة تبحث عن استجابة وفق نظريّة المثير والاستجابة، إنّها "التّفسير النصّيّ" المعروف.

٢. الفعاليّة الإسقاطية (٢٨٦): هي نشاط لا يرتكز على النصّ، ولكنّه يمرّ من خلاله ومن فوقه، متّجهاً إلى المؤلّف أو المجتمع أو إلى ذات القارئ. يُعامل النصّ فيها على أنّه وثيقة لإثبات قضيته الشخصية أو الاجتماعيّة، أو التّاريخيّة، ومفهومها أساساً أنّ النصّ مرآة عاكسة لشيء آخر موجود في الواقع. إنّها عمليّة نقل وترجمة تبدأ من شيء ثانويّ لتصل إلى شيء آخر أصليّ، والقارئ فيها ينطلق من مرجعيّة ما، خارجيّة تمحور اهتمامه. وهي بهذا تجعل النصّ الواحد متعدّد الإسقاطات. القراءات اللانهايّة.

٣. الفعاليّة التأويلية (٢٨٧): تعتنى هذه القراءة بشفرات النصّ في ضوء معطيات السّياق الذي تشكّل فيه. القراءة هنا، ولاسيما للنصّ الأدبيّ، هي عبارة عن خليّة نحل تنشط فيها آليّاتها، إنّها قراءة فعّالة. أمّا

القارئ، فهو حرّ في أن يمنح النّصّ المعنى الذي يراه الأقرب. والهدف منها هو إقام حوارٍ جدليّ مع كلّ ما يسهم في بناء النّصّ. إنّها فعاليّة لا تتفكّ عن مساءلة النّصّ والذهاب معه إلى أبعد حدود المعنى. إنّ النّصّ "بحسب القراءة التّأويليّة (لا يجيب) بالمعنى الحرفي للكلمة، ولكنّه، بالمقابل، ليس محاوراً سلبياً، إنّهُ محاور جادّ يستفزّ القارئ الذي يوظّف آلياته وملكاته لتجسيد معناه وتحقيق دلالاته" (٢٨٨).

ولكي تتمّ الفعاليّة إلى مدارج الفهم تمرّ القراءة بمرحلتين:

المرحلة الأولى (٢٨٩): وهي قراءة الدال، وتُسمّى منهجياً القراءة الخارجية للنّصّ، أي قراءة الشّكل اللّغويّ والدخول إلى عالم الكلمات. ويصرف القارئ فيها اهتمامه إلى كلّ الدوال التي في النّصّ، ويسعى إلى فكّ رموز الحروف، وتركيب الكلمات بالتّعريف عليها. فهي مرحلة لقاء وتعارف أولي، يمرّ القارئ خلالها في نقطة عدم الدّلالة، إلى مرحلة التّعريف على الدّلالة والانسجام مع محيط النّصّ وسياقه، والانتقال من عدم الشكل إلى الشكل، ومن الغياب إلى الحضور، فتتشكّل الدّلالة شيئاً فشيئاً على نحو جزئيّ غير واضح؛ لتتعمق بانفتاح المجال السيميائي، وتفعيل القارئ للنّصّ يسعى إلى إيجاد العناصر الغائبة، فيحقّق النّصّ بها وجوده الطبيعي، معتمداً على الفهم المبدئي لإبعاد الإشارات.

المرحلة الثانية (٢٩٠): وهي مرحلة قراءة المدلول، وتعتمد على وظيفتين أساسيتين: "الرقابة"، و"تحكّم العقل"؛ لعقد علاقة بين المعاني المكتسبة من خلال التراكيب والجمال والفهم العام للبناء والمكتسب عبر تطوّر مراحل عمليّة القراءة. والقارئ فيها يبذل جهداً للدخول إلى عالم المدلول، أو لنقل بالأحرى "صناعة" عالم المدلول بحسب طاقته التّأويليّة ومعرفته بملايسات النّصّ، وهذه المحصلة المعرفيّة ستصبح للقارئ مادّة التّأويليّة التي ينبغي له تحليلها وتمحيصها في عمليّة الحوار المستمرة بالقراءة بينه وبين النّصّ.

وتنتهي تصوّرات هذه القراءة إلى قول: "إنّ عمليّة القراءة عمليّة ديناميّة متحرّكة، أي إنّ تحقيق الهدف من هذه القراءة لا يجري إلا بالانتقال بين الطوابق المذكورة، وهي عمليّة ديناميّة، لأنّ نشاط القارئ واشتغاله في عمليّة القراءة هو تحقيق لنشاط المبدع، وتجسيد للنّصّ الذي أبدعه في أرض الواقع" (٢٩١).

يتّضح ما تقدّم أنّ فعل القراءة إنّما يتجسّد بما يفترضه من غاية في آليات الفهم واستراتيجيات التفسير؛ للوصول إلى مغزى النّصّ ودلالاته، وهي. أعني ما يمكن أن تعنيه القراءات المتقدّمة من كونها منظومة شموليّة. تلك المستويات التي تقوم في فعل القراءة؛ أداءً وظيفتها الفاعلة والمنتجة،

وعلى نحو أيّ سمة منها، من غير تقاطع، بل إنّ القراءة لا تقف على ما في تشكيل معنى النّص ودلالته، ثمّ القول إنّهُ قد فهم واستوعب، بل إنّها تستمرّ وتتكوثر<sup>(٢٩٢)\*</sup> مع كلّ ما ينعقد مع النّص، ويمت له بصلة، تأويلاً ومعرفة، حتّى مبدأ "الأفهوم"، الذي يعتمد على تراكم معقد من معنى النّص وعوالم تكوين الموقف وفهمه<sup>(٢٩٣)</sup>. بل الى "إمكانية الكينونة"<sup>(٢٩٤)</sup>، والقدرة عليها أيضاً، فإذا كانت الوظيفة الأولى للفهم، في بعض القراءات، "هي توجيهنا في حالة ما"، فهذا لا يعني أنّ الفهم يتوجّه إلى القبض على موضوع نصّ ما فحسب، بل إلى "إدراك إمكانية الكينونة"، والخلق. بعبارة أخرى أنّ قراءة/فهم نصّ ما، لا يعني فحسب "العثور على معنّى جامد محتوى في النّص، بل بسط إمكانية الكينونة التي يعيها النّص"<sup>(٢٩٥)</sup> نفسه.

إنّ القراءة ثمة، إذ تفصح عن بداية الفهم من جانب، و"نهائية الفهم الإنساني" من جانب آخر؛ بسبب الحكم التاريخي الذي يكون فيه القارئ/المفسّر، على حساب: لا فهم يصل إلى حدّ اليقين والاكتمال، لتعدّد القراءات والتفسيرات للنصّ واختلافها؛ تبعاً لتنوّع السّياق التاريخي والتّقافي الذي يكون فيه القارئ، فإنّها، أعني: القراءة، تقرّر استمرارية الفهم وتواصله الدائم؛ لاختلاف أزمنتها ووعيها الفاعل، وهو الأمر الذي يكتسب فيه النّصّ انفتاحه واستمراره<sup>(٢٩٦)</sup>.

وهنا أدكر أنّ فاعلية هذه المستويات القرائية، إن لم تكن بأمر هين، فهي تعكس ما ينبغي أن يكون عليه القارئ من صفات وآداب، وهو يجوب فضاءات فهم النّص قراءةً، ولذلك قيل: "إنّ القراءة تتطلب من القارئ صفات خاصة كالجرأة والعنف، والمنطق، والتّوتّر العقليّ، والتّحدّي، فإذا كانت المخاطر التي تنطوي عليها القراءة مسطرة، فإنّ الفائدة المرجوة غير محدّدة، بعضهم فقط يتلذّد بهذه الفاكهة المرّة دون خطر، وكأنّ الصّفات المشار إليها ضرورية لاقتحام حصون القراءة"<sup>(٢٩٧)</sup>، قراءة النّص وفهمه<sup>(٢٩٨)\*</sup>.

وأقول: إذا كانت كلّ هذه الأنظمة التي تعكس مدار قراءة النّص؛ للفهم والتّفسير، عبارة عن افتراضات مسبقة، ومعايير قبلية، يُشار إليها قبل خوض فعل القراءة، فلهي توكّد، ابتداءً، ما يكون عليه النّصّ نفسه من شأو في كونه "شبكة من العلاقات التي تنتظم فيما بينها استناداً إلى قوانين بنويّة خاصة يُعدّ التّعريف عليها مطلباً رئيساً لتحديد "المعنى"، أو المعاني التي يحيل إليها..."<sup>(٢٩٩)</sup>. إنّهُ "كمّ" معنويّ يحتاج إلى وعي يستقبله ويمنحه شكلاً هو أساس وجوده..."<sup>(٣٠٠)</sup>.

وإذا كانت مثاقفة النّصّ وقراءته بهذه العلاقة جدلاً دائراً يبدأ، لا لينتهي، بل يبدأ؛ ليكون بين ثنائية: إحياء وموت، وموت وإحياء مع الاعتراف بـ"إمكان المعرفة" فهماً؛ لأنّ عدم "الإيمان بإمكان المعرفة

وقيمتها، لا معنى للحديث عن التفسير<sup>(٣٠١)</sup> وفهم النص، فإنَّ مبدأ النصِّ إنّما هو فعل قراءة تقوم على أصلها الغائي: الفهم، وما في تضاعيفه ممّا يجري عليه من عدم التوقف عن السؤال<sup>(٣٠٢)\*</sup>. من هنا التمسّت منهاجاً قائماً على غرضها الغائي في التفسير عطاءً معرفياً خاصاً في مفهوم تجربة وممارسة بتفاعلٍ، في قول: "إنَّ القراءة تجربة تفتح النصَّ أمام التفسير... حوار ديالكتيكي بين القارئ والنصِّ، بين الأسئلة التي يثيرها القارئ والأجوبة التي يقدمها النصِّ، وبين الإجابات التي لا يقدمها النصِّ والأسئلة التي يثيرها المؤلف الجديد للنصِّ، وهو القارئ، في محاولة كتابة نصِّ جديد"<sup>(٣٠٣)</sup>؛ إنّه، أعني: "التفسير هو القراءة المتممّة للنصِّ..."<sup>(٣٠٤)</sup>، وهو بلا شكِّ إنّما "ينزع عن النصِّ غرابته وتوحده"<sup>(٣٠٥)</sup>.

وقد تضيق نطاقاً لاتساع ما يلزمها، في قول: "القراءة في عالم النصوص تعني السعي لفهمها أو تفسيرها... وهذا المعنى ليس بمنأى كبير عن الفهم العرفي في معنى من المعاني، فهم يطلقون كلمة قراءة ويريدون بها اللازم لها، وهو حصول الفهم..."<sup>(٣٠٦)</sup>، حتّى قيل: "القراءة هي فهم ما قرأناه، وهي كذلك تأويل ما نفكر فيه، إنّها البنية الأساسية المشتركة لكلِّ فهم وإدراك معنى"<sup>(٣٠٧)</sup>.

وقد يصل السؤال إلى ذاتها موضوعاً؛ بوصفها فلسفة الفهم والتفسير، وما تسعى إليه غاية، في شرط يتضمّن ضرورة جوابه: "إذا كان الفهم يبدأ وينتهي بالتفسيرات، فإنّه بذلك يمثّل موضوع التفسير وغايته، ولكن قد يتبادر إلى أذهاننا هنا سؤال عن موضوع الفهم والتفسير ذاته: تفسير ماذا وفهم ماذا؟ والإجابة هي: كلّ شيء وأي شيء. فالتفسير أو النشاط الهرمنوطيقي يمتدّ إلى أيّ موضوع قابل للفهم أو التعلُّل..."<sup>(٣٠٨)</sup>.

تبدأ القراءة إذن، بنفسها تجلياً بين ذاتين: ذات كاتبة باستحالتها نصّاً، وذات قارئة؛ بوصفها منتجة؛ لتظهر من بعد، غايةً في فلسفة الفهم والتفسير، وإذا كانت محاور المنتهى غايةً، على حساب، أنّ الغرض سابق على الفعل والسبب، تصوّراً منطقاً، فهي. اعني القراءة. سابقة على نفسها غايةً أيضاً؛ لتصل إليها وسيلةً، ثمّ تنعكس على فعل النصِّ؛ بوصفه قُطب الرحي الذي تطوف حوله أفعال القراءة ابتداءً بالقراءة. هكذا: نصّ يقود إلى حياته بفعل القراءة، ثمّ تفسير وفهم، يقود إلى قراءة، وهي إذ تبدأ بالنصِّ، تنتهي بنفسها بداية. وإذا كان موضوع التفسير هو الفهم، كما تقدّم من قول، فإنّ موضوع القراءة هو القراءة.

وهل لنا أن نقول، من غير مصادرة ما سبق، بل بناءً عليه: إنّ القراءة كشفٌ، ومنهجٌ، وتفكيكٌ، وبناءٌ، وإنتاج، في جهاز كُليّ يقوم على التخزين والتنظيم والترتيب، بعقل وإدراك<sup>(٣٠٩)\*</sup>، ثمّ أنساق البتِّ والتصدير. إنّها ولوج بحر من فكرٍ، والخروج من غمار ثقافة النصوص التي تشكّله بنشوة المعرفة إلى

جوهر الفهم، والوقوف على حقيقة تكون مبدأً للفعل القصدى الذي كانت سفينة النص تجري بسببه غايةً. إنها ذلك المصباح بزيت الوعي، الذي يضيئ عتمة النص وخباياه، ويخرجه من الدال إلى المدلول ووصاياه، ويحول مساره إلى أفق التعيين والامتياز، ليكون فعلاً يترجمه الفهم معرفةً، والتفسير فقاهاً. إنها فعل إدراكي متكامل. إنها نبض النص.

من هنا صار الحديث عن أهمية القراءة، والتيسر تفسير فعلها بما له من فعالية منطوية "بالقارئ"، وهي فعاليات تبرز حين اتصاله بالنص، يمكن توصيف مظاهرها بما يأتي:

"أولاً: معرفة النص واستكشافه. ثانياً: فتح آفاق النص. ثالثاً: تجلية مكوناته وأجزائه المركبة له. رابعاً: لذة تجاه النص وعشق ينهض القول به، وشهوة يدخل بها إلى النص. فإن هذا الأخير وليد اللذة، يبدو من منظور الحداثة... في لحظة انجازه، وإبداعاً وليس اتباعاً يقول ما لم يفكر فيه، ويجعلنا نفكر في ما لم يقله أحد" (٣١٠).

وبعد،...

أن تعيش نصاً، فهذا الأمر يرتكز، طبعاً، على أن ننقل إلى حياتنا بعض الصيغ المقتسمة مع عمل المقروء، وهو أمر يجري عليه قياس اللذة التي في النص (٣١١)، هذا قطعاً في النصوص الأدبية والثقافية، فكيف إذا كانت نصوصاً قدسية فيها من البعد الفكري والمعرفي ما يقتضي عملاً وامتثالاً قائماً على إدراك وفهم، ليس إلى ذلك فحسب، بل إلى طاعة؛ تحصيل جزاء وسعادة بمثابة.

وأقول: أن تقرأ نصاً ما، فهذا يعني أنك تموج في بحر من تصورات المنشىء/الكاتب وعوالمه، وتقرأ بمسالك قراءته، وتبحث في دوائر موسوعاته المعرفية، وتلاحق مرجعياته وخلفياته الثقافية في العقل والإدراك والنقد والتحليل والاستدلال والتوجيه والتكوين والإنتاج، حتى سبل الإبداع، ولا تقف عند حدود أدلته وملاكات استنباطاته فحسب، من دون مفارقة أو موافقة سابقة من نص، أو تالية في تناص، بإشارة، أو إحالة، أو رصد، وانتباه، تلك التي تمثل له ذاكرة الجمع والثقافة العالية وذكاء التصرف والممارسة والإدارة والتصنيف والتقييم، وربما التتبع أيضاً، فكيف إذا كانت هذه المرجعيات والنصورات متعدّدة الطابع والسمات، مختلفة الاتجاهات والانتماءات، متباينة الثقافات، متداخلة الأولويات!، بل كيف إذا كانت هذه النصوص عبارة عن تشريح لنص ممتاز!. وهو الأمر الذي يقتضي أن تقرأ قراءات، وتعكف على معرفة تكوينه وطرائق منهجيته عكوفاً متواصلًا؛ لتقدم قراءتين داخلية وخارجية، كل منهما يشكل جدلاً مركزياً وهامشياً، الأولى: في النص نفسه، بوصفه الهدف الغائي، والثانية: في وسائل المشرح في لغة التوصيف، وآلياته في الفهم، ومرجعياته في التفسير ومناوله في التأويل، تلك

التي تقف خلف التصدير والتكوين، ثمّ قياس المسافات المعرفية، في قراءة ثالثة، بين ذات ونصّ وموضوع، يأخذ طابعين: مشروح موصوف، وشارح واصف.

### ثبت المصادر والمراجع

#### القرآن الكريم.

١. الاتجاهات الأساسية في علم اللّغة، رومان ياكوبسن، ترجمة: عليّ حاكم صالح، وحسن ناظم، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان، ٢٠٠٢م.
٢. اجتهادات لغوية، تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٣. استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت . لبنان، طرابلس . الجماهيرية العظمى، ٢٠٠٤م.
٤. استراتيجيات القراءة . التأصيل والإجراء النقديّ، بسام قطّوس، مؤسسة حماده، دار الكندي، أربد، الأردن، ١٩٩٨م.
٥. استقبال النصّ عند العرب، د. محمد المبارك، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ودار الفأس للنشر والتوزيع، عمان . الأردن، ١٩٩٩م.
٦. أسس علم لغة النصّ . التفاعل . النصّ . الخطاب، مرجوت هاينه مان، فولفجانج هاينه مان، ترجمه إلى العربية: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، مصر . القاهرة، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
٧. الأسلوبية والأسلوب، بيير جيرو، ترجمة: د. منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، (د. ت).
٨. الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي، ط١، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ٢٠٠٢م.
٩. إسهامات أساسية في العلاقة بين النصّ والنحو والدلالة، مجموعة مقالات نقله إلى العربية وعلّق عليه، أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
١٠. إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، ط٧، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان، ٢٠٠٥م.
١١. الأصول المعرفية لنظرية التلقّي، ناظم عودة خضر، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان . الأردن، ١٩٩٧م.
١٢. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية . تأسيس "نحو النصّ"، محمد الشاوش، ط١، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، تونس، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٣. أصول علم النفس، أحمد عزّت راجح، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، الاسكندرية.
١٤. أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة . مدخل إلى السيميوطيقا، سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد، ط١، التتوير للطباعة والنشر، القاهرة . مصر، ببرت . لبنان، تونس، ٢٠١٤م.
١٥. انفتاح النصّ الروائي، سعيد يقطين، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان، ٢٠٠١م.

١٦. البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله، "ت٧٩٤هـ")، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، المكتبة العصرية، صيدا. بيروت ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٧. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٨. البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، "ت٢٥٥هـ")، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٩. تاريخ القراءة، ألبرتومانغويل، ترجمة: سامي شمعون، ط١، دار الساقى، بيروت. لبنان، ٢٠٠١م.
٢٠. التأويل. بين التيميائيات والتفكيكية، أمبرتو إيكو، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، بيروت. لبنان، ٢٠٠٠م.
٢١. التأويل والهرمونوطيقا. دراسات في آليات القراءة والتفسير، مجموعة من المؤلفين، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات القرآنية، بيروت. لبنان، ٢٠١١م.
٢٢. تحف العقول عن آل الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم"، الحراني (أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، من أعلام القرن الرابع)، عني بتصحيحه والتعليق عليه: علي أكبر الغفاري، ط٢، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٣. تحليل الخطاب الروائي. الزمن، السرد، التبئير، سعيد يقطين، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، والدار البيضاء، ١٩٨٩م.
٢٤. تحليل الخطاب، ج. ب. برون، و: ج. يول، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطني، و: د. منير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية. الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٥. تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص" د. محمد مفتاح، ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، بيروت. لبنان، ٢٠٠٥م.
٢٦. التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر، ترجمة، وتعليق: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط٢، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر. القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٧. تحليل النص. دراسة الروابط في ضوء علم اللغة النصي، د. محمود عكاشة، ط١، مكتبة الرشد، ناشرون، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
٢٨. التحليل النصي. تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة، رولان بارت، ترجمة وتقديم: عبد الكبير الشرفاوي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ومنشورات الزمن. الرباط. المغرب، ٢٠٠٩م.
٢٩. التداولية اليوم، آن ريبول، و جاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، ط١، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت. لبنان، ٢٠٠٣م.
٣٠. تفسير النص. أسس نظرية لغوية لعلم دلالة تفسيري، ديتريش بويتسه، ترجمه إلى العربية: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، مصر. القاهرة، ٢٠١٣م.
٣١. التلقي والتأويل. بيان سلطة القارئ في الأدب، محمد عزلم، ط١، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٧م.
٣٢. التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (عبد الرزاق بن المنأوي، "ت١٠٣١هـ")، تح: د. عبد الحميد صالح حمدان، ط١، عالم الكتب، القاهرة. مصر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٣. جماليّة التلقّي، هانس روبيرت ياوس، ترجمة: رشيد بنحدر، ط١، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٣٤. الجواهر السنوية في الأحاديث القدسية، الحرّ العاملي (محمد بن الحسن بن علي بن الحسين، ت١١٠٤هـ)، منشورات مكتب مفيد، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٣٥. الحيوان، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر "ت٢٥٥هـ")، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت. لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٦. الخروج من التيه. دراسة في سلطة النص، د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، دولة الكويت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٧. الخطاب العربي المعاصر. دراسة تحليلية نقدية، د. محمد عابد الجابري، ط٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. لبنان، ١٩٩٤م.
٣٨. الخطاب والتأويل، د. نصر حامد أبو زيد، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، بيروت. لبنان، ٢٠٠٨م.
٣٩. الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة، دراسة في الوظيفة والبنية والنّمط، د. أحمد المتوكّل، ط١، الدار العربية للعلوم. ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٤٠. الخطاب والقارئ. نظريات التلقي، وتحليل الخطاب، وما بعد الحداثة، د. حامد أبو أحمد، النسر الذهني، للطباعة، مصر. (د. ت).
٤١. الخطاب والنصّ، "المفهوم. العلاقة. السلطة"، د. عبد الواسع الحميري، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤٢. الخطيئة والتكفير من البنيويّة إلى التّشريحية، نظريّة وتطبيق، عبد الله الغدّامي، ط٦، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، بيروت. لبنان، ٢٠٠٦م.
٤٣. دراسات في تفسير النصّ القرآنيّ. التّأويل والأفهوم القرآنيّ. بحث: الأفهوم القرآنيّ، محمد مصطفى، مجموعة من الباحثين، ترجمة: فريق الترجمة في مركز الحضارة، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، سلسلة الدراسات القرآنية، بيروت. لبنان، ٢٠٠٧م.
٤٤. دراسات في النصّ والتّناصيّة، د. محمد خير البقاعي، ط١، مركز الإنماء الحضاريّ. حلب، ١٩٩٨م.
٤٥. دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة، د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٤٦. درجة الصفر للكتابة، رولان بارت، ترجمة: محمّد بّزادة، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، الشركة المغربية للناشرين المتحدّين، الرباط. المغرب، ١٩٨٠م.
٤٧. درس السيميولوجيا، رولان بارت، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، ط٢، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. المغرب، ١٩٨٦م.
٤٨. دروس تهيديّة في القواعد التّفسيرية، الشيخ علي أبكر السيفي المازندراني، ط٣، مؤسسة النشر الإسلاميّ، التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفّة، إيران، ١٤٣٦هـ.

٤٩. الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٥٠. دليل النظرية النقدية المعاصرة، د. بسام قطّوس، ط١، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٥١. ديناميّة النَّصّ. تنظير وإنجاز، د. محمد مفتاح، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان، ٢٠٠٦م.
٥٢. روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلاميّة، طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان، ٢٠٠٦م.
٥٣. سيكولوجية اللّغة والمرض العقلي، د. جمعة سيد يوسف، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠.
٥٤. سيميائيّات النَّصّ. مراتب المعنى، سعيد بنگراد، ط١، منشورات صفاق، بيروت، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
٥٥. شجرة طُوبى، الحائري (الشيخ محمد مهدي، 'ت١٣٦٩هـ')، ط٥، منشورات المكتبة الحيدرية، ومطبعتها في النجف، محرم الحرام، ١٣٨٥هـ.
٥٦. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترآبادي (محمد بن الحسن النَّحويّ، ت٦٨٦هـ)، مع شرح شواهد، للعالم الجليل: عبد القادر البغداديّ، صاحب خزّانة الأدب، (ت١٠٩٣هـ)، حقّقهما، وضبط غريبهما: محمد نور الحسن، ومحمد الزّرقاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٥٧. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، 'ت٦٥٦هـ'، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٣٨٧هـ.
٥٨. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الفلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري)، تح: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م.
٥٩. العبارة والإشارة، دراسة في نظريّة الاتصال، د. محمد العبد، ط٢، مكتبة الأدب، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٦٠. العربيّة من نحو "الجملة" إلى نحو "النّصّ"، سعد مصلوح، الكتاب التذكري لقسم اللّغة العربيّة، جامعة الكويت، إعداد: د. وديعه طه النجم، و د. عبده بدوي، ١٩٨٩ - ١٩٩٠م.
٦١. علم اللّغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: د. مالك المطليبي، دار آفاق عربيّة، بغداد . العراق، ١٩٨٥م.
٦٢. علم لغة النَّصّ، المفاهيم والاتجاهات، أ. د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٦٣. علم اللّغة النَّصِّيّ. النَّظريّة والتّطبيق، أ. د. مصطفى صلاح قطب، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٤هـ.
٦٤. علم اللّغة النَّصِّيّ بين النَّظريّة والتّطبيق، دراسة تطبيقيّة على السّور المكيّة، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٦٥. علم النَّصّ، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء . المغرب، ١٩٩١م.
٦٦. علم النَّصّ، مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ. فان دايك، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن بحيري، ط٢، دار القاهرة . مصر، ٢٠٠٥م.

٦٧. غرر الحكم وُدرر الكلم، المفهرس من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "٨"، عبد الواحد الأمدي (ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي، "ت ٥٥٠هـ")، ترتيب وتدقيق: عبد الحسن ذهيني، ط١، المؤسسة الفكرية للمطبوعات، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٦٨. فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النصّ القرآني، د. محمد جهلان، ط١، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق. سوريا، ٢٠٠٨م.
٦٩. فعل القراءة. نظريّة جمالية التجاوب (في الأدب)، فولغانغ إيزر، ترجمة: د. حميد لحداني، د. الجلاي الكدية، مطبعة الأفق، فاس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات مكتبة المناهل، فاس، (د.ت).
٧٠. فلسفة التأويل. دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، نصر حامد أبو زيد، ط٧، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، بيروت. لبنان، ٢٠١١م.
٧١. فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى. من المعيارية النقدية إلى الانتفاح القرائي المتعدد. دراسة، أ.د. حبيب موني، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د. ط)، (د. ت).
٧٢. الفلسفة لمن يريد، أ.د. نبيل عبد الحميد عبد الجبار، ط١، دار دجلة، ناشرون ومزعون، عمان. الأردن، ٢٠٠٧م.
٧٣. فنون النصّ وعلموه، فرانسوا راستي، ترجمة: إدريس الخطاب، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. المغرب، ٢٠١٠م.
٧٤. فهم الفهم. مدخل إلى الهرمنيوطيقا. نظريّة التأويل من أفلاطون إلى جادامر، د. عادل مصطفى، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
٧٥. فهم القرآن. دراسة على ضوء المدرسة العرفانية، جواد كسار، ط٢، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات القرآنية، بيروت. لبنان، ٢٠١٠م.
٧٦. في البلاغة العربيّة والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح، مجلس النشر العلمي، الكويت، ٢٠٠٤م.
٧٧. في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي، ط١، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٨م.
٧٨. في قراءة النصّ، قاسم المومني، ط١، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٩م.
٧٩. في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، د. سعيد توفيق، ط١، المؤسسة الجامية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٨٠. القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، امبرتو إيكو، ترجمة: انطوان أبو زيد، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، بيروت. لبنان، ١٩٩٦م.
٨١. القارئ في النصّ، مقالات في الجمهور والتأويل، تحرير، سوزان روبين سليمان أنجي كروسمان، ترجمة: د. حسن ناظم، علي حاكم صالح، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت. لبنان، ٢٠٠٧م.
٨٢. القارئ والنصّ، العلامة الدلالة، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م.

٨٣. القارئ والنص، من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا، سيزا قاسم، مجلة عالم الفكر، دولة الكويت، المجلد الثالث والعشرون. العددان الثالث والرابع. يناير/مارس. إبريل/ يوليو ١٩٩٥م.
٨٤. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزوالد ديكر، و جان ماري سشافير، ترجمة: د. منذر عياشي، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.
٨٥. القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشر. أن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز الدين المجنوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.
٨٦. قراءات في الخطاب الهرمنيوطيقي، د. عامر عبد زيد، ط١، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية. ناشرون، بيروت. لبنان، ٢٠١٢م.
٨٧. القراءة، فانسون جوف، ترجمة: د. محمد آيت لعميم، شكير نصر الدين، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦م.
٨٨. القراءة الحديثة للنص القرآني، وأثرها في قضايا العقيدة، د. محمد سالم النعيمي، ط١، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦م.
٨٩. القراءة التسقيية. سلطة البنية وهم المحايثة، أحمد يوسف، ، ط١، دار العربية للعلوم. ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت. لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٩٠. قضايا الشعرية، رومان ياكسون، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. المغرب، ١٩٨٨م.
٩١. قضية البنيوية. دراسة ونماذج، عبد السلام المسدي، ط١، المطبعة العربية. بن عروس، تونس، ١٩٩١م.
٩٢. الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، ترجمة: كاظم جهاد، تقديم: محمد علال سيناصر، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. المغرب، ٢٠٠٠م.
٩٣. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، العجلواني (الشيخ إسماعيل بن محمد الجراحي، "ت١١٦٢هـ")، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٩٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي)، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٩٥. لذة النص، رولان بارت، الأعمال الكاملة. ١. ترجمة: د. منذر عياشي، ط١، مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٢م.
٩٦. لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي المصري، ت٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت. (د. ت).
٩٧. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، بيروت. لبنان، ٢٠٠٦م.
٩٨. لسانيات الخطاب. مباحث في التأسيس والإجراء. أ. د. نعمان بوقرة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ٢٠١٢م.
٩٩. لسانيات النص، عرض تأسيسية، كيرستن آدمتيك، ترجمه إلى العربية: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، مصر. القاهرة، ٢٠٠٩م.

١٠٠. لسانيات النَّصِّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان، ٢٠٠٦م.
١٠١. اللسانيات من خلال النصوص، د. عبد السلام المسدي، ط١، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
١٠٢. اللغة، ج. فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، مُحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، (د.ت).
١٠٣. اللغة بين الثابت والمتغير، دراسة نصية، أ. د. أحمد غففي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٠٤. اللغة والتأويل . مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، عمارة ناصر، ط١، الدار العربية للعلوم، ناشرون، دار الفارابي، منشورات الاختلاف، الجزائر، بيروت . لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٠٥. اللغة والتفسير والتواصل، د. مصطفى ناصف، عالم الكتب، دولة الكويت، ١٩٩٥م.
١٠٦. اللغة والمعرفة . دراسات في علم اللغة الإدراكي، مجموعة بحوث، ترجمة: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠١٦م.
١٠٧. اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة، د. يونيل عزيز، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
١٠٨. ما الأدب؟، جون بول سارتر، ترجمة وتقديم وتعليق: د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة . القاهرة. (د.ت).
١٠٩. مبادئ الأسلوبيات العامة، بيار لرتوما، ترجمة: محمد الزكراوي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . لبنان، ٢٠١١م.
١١٠. مدخل إلى اللسانيات، د. محمد محمد يونس علي، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت . لبنان، طرابلس، الجماهيرية العظمى، ليبيا، ٢٠٠٤م.
١١١. مدخل إلى علم النَّصِّ ومجالات تطبيقه، د. محمد الأخضر الصبيحي، ط١، الدار العربية للعلوم . ناشرون، بيروت . لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١١٢. مدخل إلى علم النَّصِّ، مشكلات بناء النَّصِّ، زتسيسلاف واورزنيك، أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١١٣. المرابا المحدبة، د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، دولة الكويت، ١٩٩٨م.
١١٤. مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين "٨"، الحافظ رجب البرسي "ت٨١٣هـ"، تح: السيد علي عاشور، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت . لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١١٥. معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفارنير، ترجمة وتقديم وتعليقات: د. حميد الحمداني، دار منشورات دارسات، سال، مطبعة النجاح، الدار البيضاء . (د.ت).
١١٦. معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو . دومينيك منغون، ترجمة: عبد القادر المهيري . حمادي صمود، دار سيناترا، تونس، ٢٠٠٨م.
١١٧. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، ط١، ذوي القرى، قم، إيران، ١٣٨٥هـ.

١١٨. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت. لبنان، سوشيريس، الدار البيضاء. المغرب، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١١٩. مفاهيم سردية، تزيطان تودوروف، ترجمة: عبد الرحمان مزيان، ط١، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٥م.
١٢٠. مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، ط٤، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٨م.
١٢١. مقدّمة جامع النّاسير. مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، أبو القاسم الراغب الأصفهاني "ت٥٠٢هـ"، حققه وقدم له وعلق حواشيه: د. أحمد حسن فرحان، ط١، دار الدعوة. الكويت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
١٢٢. مقدّمة في علمي الدلالة والتّخاطب، د. محمد محمد يونس علي، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت. لبنان، طرابلس، الجماهيرية العظمى. ليبيا، ٢٠٠٤م.
١٢٣. مقدّمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة وتقديم: د. عز الدين إسماعيل، ط١، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠١م.
١٢٤. المقرّر في توضيح منطق المظفر، السيّد رائد الحيدري، ط١، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٢٥. من البنيوية إلى الشّعريّة، رولان بارت، و جيرار جينيت، ترجمة: د. غسان السيد، ط١، دار نينوى للنشر والتوزيع، سوريا. دمشق، ٢٠٠١م.
١٢٦. من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النّقديّ. مناهج ونظريات، أ.د. جمعان بن عبد الكريم، ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان. الأردن، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
١٢٧. من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة. دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، عبد الكريم شرفي، ط١، الدار العربية للعلوم. ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٢٨. من النصّ إلى الفعل، أبحاث في التّأويل، بول ريكور، ترجمة: محمد برادة، وحسان بورقية، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، بالتعاون مع المركز الفرنسي للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م.
١٢٩. مناهج النقد الأدبي الحديث. رؤية إسلامية، د. وليد قصاب، دار الفكر، آفاق معرفة متجددة، دمشق، ٢٠٠٧م.
١٣٠. منطق فهم القرآن، من أبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، ط١، مؤسسة أم أبيها، دار المرتضى، بيروت. لبنان، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١٣١. المنطق، الشيخ محمّد رضا المظفر، ط٣، مطبعة التّعمان، النّجف الأشرف، ١٣٨٨هـ، مجموعة المحاضرات التي أقيمت في كليّة منتدى النّشر بالنّجف الأشرف، مطبعة حسام، بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٣٢. مئنة المرید في أدب المفيد والمستفيد، الشهيد الثاني (الشيخ زين الدين بن علي العاملي الجزيني، المعروف بالشهيد الثاني المستشهد "ت٩٦٦هـ")، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، الحوزة العلميّة بقم، ١٤٠٩هـ.
١٣٣. موسوعة سيرة أهل البيت "A"، الجزء الخاصّ بالإمام محمد الباقر "A"، الشيخ باقر شريف القرشي، تح: مهدي باقر القرشي، ط١، دار المعروف للطباعة والنش، مؤسسة كتاب عام الولاية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٣٤. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١٣٥. نحو النصّ، اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ، د. أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٣٦. نحو النَّصِّ . نقد نظرية... وبناء أخرى، د. عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، أربد . الأردن، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٣٧. نحو نظرية أسلوبيّة لسانيّة، فيلي سانديرس، ترجمة: د. خالد محمد جمعة، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٣٨. نسيج النَّصِّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً، الأزهر الزّناد، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م.
١٣٩. النَّصُّ في القراءات العشر، ابن الجزريّ (أبو الخير محمد بن محمد بن محمد، "ت٨٣٣هـ")، دراسة وتحقيق: د. سالم محمد محمود الشنقيطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية . المدينة المنورة، ١٤٣٥هـ.
١٤٠. النَّصُّ القرآنيّ من الجملة إلى العالم، وليد منير، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٤١. النَّصُّ: من القراءة إلى التّظهير، د. محمد مفتاح، تقديم: د. أبو بكر العزاوي، ط١، شركة النشر والتوزيع . المدارس، الدار البيضاء . المغرب، ٢٠٠٠م.
١٤٢. النَّصُّ والأسلوبيّة بين النّظريّة والتّطبيق . دراسة، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد كتاب العرب، ٢٠٠٠م.
١٤٣. النَّصُّ والخطاب والاتصال، أ. د. محمد العبد، ط١، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٤٤. النَّصُّ والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: أ. د. تمام حسان، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
١٤٥. النَّصُّ والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتّداوليّ، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت . لبنان، ٢٠٠٠م.
١٤٦. نظريّات القراءة في النقد الأدبيّ، جميل حمداوي، ط١، المغرب، ٢٠١٥م.
١٤٧. نظريّات القراءة في النقد المعاصر، أ. د. حبيب مونسي، دار الأديب، وهران، ٢٠٠٧م.
١٤٨. نظريّات القراءة والتّأويل الأدبيّ وقضاياها . دراسة، د. حسن مصطفى سلول، ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
١٤٩. النّظريّة الأدبيّة، ديفيد كارتر، ترجمة: د. باسل المسالمه، ط١، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، الرباط . المغرب، ٢٠١٠م.
١٥٠. نظريّة التّأويل التّقابلي . مقدّمات لمعرفة بدلية بالنص والخطاب، محمد بازي، ط١، منشورات صفاف، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، بيروت . لبنان، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
١٥١. نظريّة التّأويل، الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان، ٢٠٠٦م.
١٥٢. نظريّة التّلقّي . إشكاليّات وتطبيقات . ندوة، مطبعة النجاح، الدار البيضاء . المغرب. (د. ت).
١٥٣. نظريّة التّلقّي . أصول وتطبيقات، د. بشرى موسى صالح، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد . العراق، ١٩٩٩م.
١٥٤. نظريّة التّلقّي . خلفياتها الاستمولوجيّة وعلاقتها بنظرية الاتصال، غنيمه كرلوقلي، ط١، دار التّوير، الجزائر، ٢٠١٣م.

١٥٥. نظريّة النَّقْي . مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة: د. عز الدين إسماعيل، ط١، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
١٥٦. نظريّة النَّصّ، أو التَّعدُّد المنهجيّ في قراءة النَّصّ القرآنيّ، سعيد النكر، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان، ٢٠١٦م.
١٥٧. نظريّة النَّصّ، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، ط١، الدار العربية للعلوم . ناشرون، بيروت . لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
١٥٨. نظريّة النَّقد الأدبيّ الحديث، يوسف نور عوض، ط١، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
١٥٩. النَّظريّة والنَّصّ، كتاب جماعيّ، قدّم له: آ. كيببدي فارغا، ترجمة: د. منذر عياشي، ط١، عالم الكتب الحديث، أريد . الأردن، ٢٠١٣م.
١٦٠. النَّقد والأسلوبية بين النَّظريّة والتَّطبيق، دراسة، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد كتاب العرب، ١٩٨٩م.
١٦١. هرمنيوطيقا القرآن. مقدّمة تأسيسية، عبد العال العبدوني، ط١، دار المعارف الحكيمة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
١٦٢. الهرمنيوطيقا. الكتاب والسُّنة، محمد مجتهد شبستري، ترجمة: حيدر نجف، مراجعة: عبد الجبار الرفاعي، ط١، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، القاهرة، تونس، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ٢٠١٣م.
١٦٣. الهرمنيوطيقا وعلم التفسير . بحث مقارن، محمد بهرامي، بضمن دراسات في تفسير النَّصّ القرآني، مجموعة من الباحثين، ترجمة: فريق الترجمة في مركز الحضارة، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات القرآنية، بيروت . لبنان، ٢٠٠٧م.
١٦٤. الهرمنيوطيقا ومنطق فهم الدين، علي الرياني الكلبايكاني، تعريب: الشيخ داخل الحمداني، ط١، مؤسسة أهل الحق الإسلامية، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
١٦٥. الوافي، الفيض الكاشاني، (المحدّث محمد محسن المشهور بالفيض الكاشاني، "ت١٠٩١هـ")، ط١، عني بتصحيحه والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل: ضياء الدين الحسيني "العلامة" الاصفهاني، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي "٨"، العامة، ١٤٠٦هـ.

.....\*

الشبكة العالمية للمعلومات:

الموسوعة الحرّة . ويكيبيديا. الشبكة العالميّة للمعلومات "الانترنت". "مكّعب . روبيك [www.wikipedia.org/wiki](http://www.wikipedia.org/wiki)."

- (١) البيان والتبيين؛ الجاحظ: ١/ ١٣٥.
- (٢) كشف الظنون؛ حاجي خليفة: ١/ ١٧.
- (٣) سورة البلد، الآيتان: ٨ - ٩.
- (٤) سورة يوسف؛ من الآية: ٧٦.
- (٥\*) ألفتُ نظر القارئ الكريم إلى أنَّ البحث، وهو في وُصف مفاهيمه وإجراءاته، قد جَعَلَ في الهامش؛ للتوضيح والبيان، بعضاً من نصوص ثانوية وإحالات إضافية ومقاربات موضوعية، تتصاهر مع المتن/المركز في تكوين معرفيٍ مساوٍ، ما ينبغي الالتفات إليه؛ قراءةً وتكميلاً.
- (٦) ينظر: علم لغة النص؛ سعيد حسن بحيري: ٩، ٩٣، و١١٨، وبلاغة الخطاب وعلم النَّصِّ؛ صلاح فضل: ٢٢٩ وما بعدها، وتحليل الخطاب الروائي؛ سعيد يقطين: ١٥ - ٢٦، وانفتاح النَّصِّ الروائي؛ سعيد يقطين: ٥ وما بعدها، ولسانيات النَّصِّ؛ محمد خطابي: ١٣، و٤٧، واللسان والميزان أو التكوثر العقلي؛ طه عبد الرحمن: ٢١٣، و٢١٦، والخطاب والنَّصِّ؛ عبد الحميد الحميري: ٥، و١١، و٣٧، و٨٩، و١٠٧، و١٣٩، والنَّصِّ والخطاب والاتصال؛ محمد العبد: ٧ - ١٢، والنقد والأسلوبية؛ عدنان بن ذريل: ٢٢٣، والنَّصِّ والأسلوبية؛ عدنان بن ذريل: ١٥ - ٢١، ونسيج النَّصِّ؛ الأزهر الرُّنَاد: ١٢ - ٢٠، ونظرية النَّصِّ؛ حسين خمري: ١٧، و٣٥، و٦٧، و١٣١، والعبارة والإشارة؛ محمد العبد: ٧، و٨٩، ونظرية النَّصِّ؛ سعيد النكر: ٢٩، و١١٦، والأسلوبية وتحليل الخطاب؛ منذر عياشي: ٦٩، و١٢١، والعربية من نحو "الجملة" إلى نحو "النص"؛ سعد مصلوح: ٤٠٧، وفي البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية؛ سعد مصلوح: ٧١، و٢٢٥، ومقدمة في علمي الدلالة والتخاطب؛ محمد يونس علي: ١٤ - ١٦، ومدخل إلى اللسانيات؛ محمد يونس علي: ٢٢ - ٢٣، والخطاب وخصائص اللغة العربية؛ أحمد المتوكل: ٢١ - ٢٦، ومفهوم النَّصِّ؛ نصر حامد أبو زيد: ١٩، والنَّصِّ القرآني من الجملة إلى العالم؛ وليد منير: ١٧ - ٢٩، ونحو النَّصِّ؛ أحمد عفيفي: ١٧، و٤٧، واللغة بين الثابت والمتغير؛ أحمد عفيفي: ١٩ - ٣١، ونحو النَّصِّ؛ عمر أبو خرمة: ١٩، وعلم اللغة النصي؛ صبحي إبراهيم الفقي: ١/ ٢٣، واجتهادات لغوية؛ تمام حسان: ٣٦١، وتحليل الخطاب الشعري؛ محمد مفتاح: ١١٩ - ١٢٠، ومدخل إلى علم النَّصِّ؛ محمد الأخضر: ١٣، و٥٩، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش: ١/ ٢٥، وما بعدها، واستراتيجيات الخطاب؛ عبد الهادي الشهري: ٣٤ - ٤٠، والدلالة والنحو؛ صلاح الدين صالح حسنين: ٢٢٣، ودراسات في النص والتناصية؛ محمد خير البقاعي: ٢٦، و٣٢، ولسانيات الخطاب؛ نعمان بوقرة: ١٧ - ٣٥، ودينامية النص؛ محمد مفتاح: ٤٩، وفي اللسانيات التداولية؛ خليفة بوجادي: ٤١ - ٤٤، وتحليل النص؛ محمود عكاشة: ٨، وما بعدها، وعلم اللغة النصي؛ مصطفى صلاح قطب: ٥١، ونظرية التأويل التقابلي؛ محمد بازي: ١٩٩ - ٢٠٦، ومنطق فهم القرآن؛ الحيدري: ١/ ١٨٦، ومن تحليل الخطاب؛ جمعان بن عبد الكريم: ١٣، و٣٧، و٤٥.
- (٧) ينظر: مقممة في نظريات الخطاب؛ ديان مكدونيل: ٢٩، و٦٧، والنَّصِّ واللبّاق؛ فان دايك: ١٤، و٤٥، و٧٣، و١١٤، و٣١٢، و٣٤٤، وعلم النص؛ فان دايك: ١٩، و١٣٧، و٢٢٧، و٢٧٥، و٣٠٤، وعلم النص؛ جوليا كريستيفا: ٧، و٢١، والنَّصِّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٧١، و٨٨، و١٠٣، و١٢٨، و٢٢٦، و٤١١، واللغة والمعنى والسياق؛ جون لاينز: ٢١٥، ومن النَّصِّ إلى الفعل؛ بول ريكور: ١٠٥، ونظرية التأويل؛ بول ريكور: ٢٤، و٣٢، و٤٢، ومفاهيم

سردية؛ تودوروف: ٣٢، والتأويل؛ أمبرتو أيكو: ٤٢، وإسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة؛ مجموعة مقالات ترجمة: سعيد البحيري: ١٥٧، و١٩٩، والنظرية والنص، كتاب جماعي قدم له؛ كيببيدي فارغا، ترجمة: منذر عياشي: ٦٢. ٦١- ٨١، و٨٤، ونحو نظرية أسلوبية لسانية؛ فيلي ساندرينس: ٧٢- ٩٣، ودرس السيميولوجيا؛ رولان بارت: ١٢- ١٧، ومن النبوية إلى الشعرية؛ رولان بارت وآخر: ١٦- ٢١، وفنون النص وعلومه؛ فرانسوا راستي: ٣١، وما بعدها، وأسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ١١٥- ٢٠٣، ومدخل إلى علم النص؛ زتسيسلاف اوورنيك: ٣٦، و٥٣، و٨٣، والتحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ٢٨، و٤٠، و١٢١، و١٨٣، وتحليل الخطاب؛ جورج يول: ١١، و٢٢٧، والتداولية اليوم؛ جاك موشلار: ٢٠٤، والقارئ في الحكاية؛ أمبرتو أيكو: ١٦، ومبادئ الأسلوبيات العامة؛ بيار لرتوما: ٩٩، والقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان؛ أوزوالد ديكور: ٥٣٣- ٥٣٩، والقاموس الموسوعي للتداولية؛ جاك موشلر: ٢٦، و٥١، و٨٨، و٩٠- ١٠٠، و٢١١، ومعجم تحليل الخطاب؛ باتريك شارودو: ١٨٠، و٣٦٢، و٥٥٣، و٥٦٧.

(\*) مفهوم "الهرمينوطيقا". على الرغم من صعوبة تحديد ماهيته؛ لتعددية مفاهيمه النظرية والإجرائية. يدور مجاله المعرفي في فلك كل ما من شأنه أن يتصل بفهم النصوص وتفسيرها وتأويلها وترجمتها ونقلها وشرحها وتطبيقها، أو بتعبير بول ريكور [في: من النص إلى الفعل: ٥٨]: هي نظريات عمليّات الفهم وعلاقتها مع تفسير النصوص، مهمتها الجوهرية الشرح والتأويل والفهم. أو بتعبير شلايرماخر: "فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم". [من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة؛ عبد الكريم شرفي: ١٧]. وينظر في مدارج المفهوم وممارساته الإجرائية أيضاً؛ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة؛ سعيد علوش: ٢٢٤- ٢٢٥، وإشكالية القراءة وآليات التأويل؛ نصر حامد أبو زيد: ١٣- ١٤، والهرمينوطيقا وعلم التفسير؛ محمد بهرامي، بضمن دراسات في تفسير النص القرآني: ١/ ٢٩، ودروس تمهيدية في القواعد التفسيرية؛ الشيخ علي أكبر المازندراني: ١/ ٩٤- ١٠١، واللغة والتأويل؛ عمارة ناصر: ١٣، وفعالية القراءة؛ محمد بن أحمد جهلان: ١٦٨، وفهم الفهم؛ عادل مصطفى: ٣٣، و٦٥، وهرمينوطيقا القرآن؛ عبد العال العبدوني: ١٣، والهرمينوطيقا؛ علي الرباني: ١٨، وما بعدها، ودليل النظرية النقدية المعاصرة؛ بسام قطوس: ٢٠٣، وقرارات في الخطاب الهرمينوطيقي؛ عامر عبد زيد: ٧- ٢١، والهرمينوطيقا الحديثة وفهم النص، بضمن التأويل والهرمينوطيقا. دراسات في آليات القراءة والتفسير: أسعد قطان: ٤٥.

وقد يُتصوّر اللفظ المصطلحي بأكثر من فوناتيك/تشكيل صوتي لل"هرمينوطيقا"، أجمل اختيارها وترجمتها الأستاذ عبد الكريم شرفي، [في: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة: ١٧]، ليقع الاختيار منا على ما وقع عليه من "الهرمينوطيقا"؛ وذلك "لأنه يتميز بالشمولية في دلالاته،... المصدر نفسه. هامشه.

(\*) من أقسام الفلسفة، وهما قسيما "Ontology" الأنطولوجي، والأول منها يعني دراسة المبادئ ونقد العلوم منطقياً، والثاني بحث في قيمها وغاياتها. ينظر: الفلسفة لمن يريد؛ نبيل عبد الحميد: ٢٥، والمعجم الفلسفي؛ جميل صليبا: ١/ ٣٣، وفي نظرية القيم "Axiology" ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٢١٤- ٢١٥.

(١) النص والخطاب والإجراء: ٧١. وينظر في مقارنة هذا المستوى التفاعلي مع العلوم، ما ذكره جاكوبسن، من دعوات سابير من وجوب العناية "بعدد من المشكلات الأنثروبولوجية، والاجتماعية، والنفسية التي تجتاح حقل اللغة". الاتجاهات الأساسية في علم اللغة: ٤٤.

- (١١) المصدر نفسه: ٧١.
- (١٢) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان؛ أوزوالد ديكر: ٦٤٦.
- (١٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥٣٤.
- (١٤) النَّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٨٨.
- (١٥) أسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ١١٦.
- (١٦) ينظر: النَّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٨٨-٨٩.
- (١٧) أسس علم لغة النَّصّ؛ مرجوت هاينه مان: ١١٦.
- (١٨) ينظر: من النَّصّ إلى الفعل؛ بول ريكور: ٨٠، وتحليل الخطاب الروائي؛ سعيد يقطين: ١٨.
- (١٩) ينظر: إسهامات أساسية في العلاقة بين النَّصّ والنحو والدلالة؛ مجموعة مقالات، ترجمة سعيد حسن بحيري: ١٥٨، وأسس علم لغة النَّصّ؛ مرجوت هاينه مان: ١٣٥، والتحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ٤٠، والقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: ٥٣٤، ولسانيات النص؛ محمد خطابي: ٢٩.
- (٢٠) لسانيات النَّصّ؛ محمد خطابي: ٢٩.
- (٢١) التحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ٣١.
- (٢٢) نظرية النص؛ حسين خمري: ٤٤.
- (٢٣) نسيج النص: ١٤. وينظر: في مقارنة: اللغة والمعنى والسياق؛ جون لاينز: ٢١٦-٢١٧، وتحليل الخطاب؛ جورج بول: ٢٤.
- (٢٤) نسيج النَّصّ؛ الأزهر الزناد: ١٦. وينظر: أسس علم لغة النَّصّ؛ مرجوت هاينه مان: ١٢١.
- (٢٥) الأسلوبية وتحليل الخطاب: ٦٣.
- (٢٦) من البنيوية إلى الشعرية: ١٧.
- (٢٧) المصدر نفسه: ١٧.
- (٢٨) المصدر نفسه: ١٨.
- يقول "بارت" أيضاً [في: التّحليل النَّصّي: ٥٠]: "لا قانون بنيويّ يجبرك على إفعال الجملة، فيمكنك أن تفتحها بنيويّاً إلى ما لا نهاية". وهو سياق قرآنيّ رُبّما يفتح فيه "بارت"، ما يمكن أن أسميه نسق النَّصّ الثاني، وهو مفهوم "التلخيص" عنده، الذي يمثل أحد وجوه التّحليل؛ بوصف الأخير النَّصّ الواصف.
- (٢٩) ينظر: أسس علم لغة النَّصّ؛ مرجوت هاينه مان: ١١٦.
- أحسن الأستاذ أحمد عفيفي بما قدّمه من توصيف لملامح الاتفاق والاختلاف بين "نحو الجملة" و"نحو النَّصّ"، وضرورة الحاجة إلى التّمتين، والمبادئ الحاكمة لما يختصّ به "نحو الجملة" من الاستقلال عن رعاية الموقف اللغويّ واستقلالها داخل النَّصّ، والاطراد، والمعياريّة، والاطلاق، والاقتصار على حدودها. نُمّ ما يختصّ به "نحو النَّصّ" من معايير دي بوجراند السبعة، وما يشترك فيه "نحو الجملة" و"نحو النَّصّ"، من السّبك والحبك والانسجام. [ينظر: نحو النَّصّ: ٦٥، وما بعدها].

(٣٠) أسس علم لغة النَّصِّ؛ مرجوت هاينه مان: ١١٦. وينظر: التَّحْلِيل اللُّغَوِي للنص؛ كلاوس برينكر: ٣٠، ومدخل إلى علم النص؛ زتسيسلاف واوزنيك: ٥٩.

لعلَّ هذا التَّوصيف الذي ينحو بالتواصل منحى فكرياً قائماً على النَّصِّ كُلاً، يكون معياراً يمكن اعتماده لقراءة ما قدَّمه فندريس، [في: اللُّغة: ١٠٤] من قول: "نحن نفكر بجمل". فقراءة تكوين النَّصِّ، ثَمَّة، مفتوحة السَّمات في مقولة "جمل"، والفكر أخيراً إنَّما يكتمل بالتوالي منها، على نحو تراكمي في "الحديث". وإنَّ كانت محاولة "دي بوجراند" في موضوع "أنواع النصوص وتصنيفها"، ينكر أن تكون الجمل بقراءتها "التراكيب النَّحْوِيَّة" أن تكون كذلك، يقول: "إنَّ الناس، وليس الجمل، هم الذين يقررون أو يسألون أو يفصحون عمَّا في أنفسهم، وإنَّ الأفكار والعلاقات هي أساس حالات اتباع الإجراء والتَّصنيف وما أشبهها، وليست التَّراكيب النَّحْوِيَّة هي أساس ذلك. لهذا لا يمكن للتقسيمات المعتادة للجمل أن تمدنا بوسائل تصنيف للنصوص بوصفها وقائع في سياق التَّفاعل الاتصالي". [في النص والخطاب والإجراء: ٤١١].

(٣١) ينظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلم اللسان؛ أوزولد ديكر: ٥٣٤. وفي قول لـ"بارت" [في التحليل النَّصِّي: ٢٦]، يرى فيه أنَّ البحث فيما وراء الجملة، خروج على اللسانيات إلى أخرى. يقول: "إنَّ لسانيات اللغات الوطنية (أي التي تكتب بها المحكيات) تتوقَّف عند حدود الجملة، من حيث هي الوحدة الأخيرة التي يمكن لعالم اللسانيات أن يبشرها. وفيما وراء الجملة، لا تعود البنية تابعة للسانيات، بل للسانيات ثانية، عبر لسانية، هي موقع تحليل السرد؛ بعد الجملة، هناك حيث تتضامُّ عدة جمل". وتحليل السرد هذا له المهمة ذاتها التي يأتي عليها التحليل البنيوي للسرد، ذلك أنَّ الأخير يجمع من المتن أشكالاً كمواد؛ لتشييد القواعد النَّحْوِيَّة، أمَّا السرد، فيجمع من المحكيات متناً؛ ليستتبط منه بنية. ينظر: المصدر نفسه: ٢٧.

(٣٢) ينظر: علم لغة النص؛ سعيد حسن بحيري: ١٢٣.

(٣٣) النَّصِّ والخطاب والإجراء: ٨٨ - ٩٦. وينظر: المصدر نفسه: ٩٧.

(٣٤) المصدر نفسه: ٩٧.

(٣٥) ينظر: المصدر نفسه: ٨٩ - ٩٠.

(٣٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٢.

(٣٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣ - ١٠٥.

(٣٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٦.

(٣٩) ينظر: المصدر نفسه: ٨٦.

(٤٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٧، ٤٢٠، و٤٢٤.

(٤١\*) يقسم علماء لغة النَّصِّ. حين الدخول إلى تعريف النَّصِّ، بوصفه موضوع التَّحْلِيل أولاً، وهدف بناء النظرية ثانياً. يقسمون علم النَّصِّ. بشكل صريح أو ضمني. على ثلاثة مجالات: ١. علم النَّصِّ النَّظْرِي (نظرية النَّصِّ)، وهو علم الموضوع العام للنص، علم بناء النَّصِّ (تشكيل النَّصِّ) إلخ. ٢. علم النَّصِّ الوصفي (تحليل النَّصِّ)؛ بوصفه علماً عملياً لتحليل النَّصِّ وتصنيفها، أي علم أنواع النصوص (تتميط النَّصِّ). ٣. علم النَّصِّ التطبيقي، وهو علم استعمال النَّصِّ، واستيعابها، وتعلمها. ينظر: مدخل إلى علم النَّصِّ؛ زتسيسلاف واوزنيك: ٣٥.

(٤٢\*) إنَّ سمة تعيين النصوص ثمة، إنَّما تقوم على نحو اختيارها كنوع من المقولات التي يتأتى عليها مفهوم النَّصِّ تعريفاً، وهي وإن اختلفت إلا أنَّها تميَّز نفسها في نحو التكوين الخاص بها بحسب القراءة التي صدرتها، وهذه النصوص، لا شك، تقابلها نصوص أخرى، غير أنني اقتصر على المذكور منها دون التحليل لمكوناتها التقنيَّة، رجاء الاختصار، فضلاً عن بيانها الصريح الذي يغني عن شرح مقولات تفسيرية أخرى.

وهنا يطيب لي أن أشير إلى ما ذكره هاينه مان، بيانا لوجهة النَّظَر وما نحن فيه. وكيف أنَّه قد وضع كتاب "أسس علم لغة النص" يحاول فيه معالجة مشكلة موضوع النَّصِّ تعريفاً، وكيف أنه قدَّم عن السؤال المهم لعلم اللغة عن جوهر النَّصِّية في ألف تعريف للنصِّ تقريباً إجابات مختلفة بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً إلى حد ما. وكان من اللافت للنظر أنَّ العدد الأكبر من الأعمال لم يستوعب ويعرض بشكل مناسب إلا جانباً جزئياً من النصوص من منظور نظري أو منهجي متباين، وأنَّه على العكس من ذلك لم يُتحدَّث عن الظاهرة المعقدة "النص" بوصفه كلاً يعمل في التفاعل إلا أحياناً. أسس علم لغة النص: ١٢٠، وينظر: المصدر نفسه: ١٧٠، و١٨٧-١٩٠.

أقول: كيف إذن، بهذا البحث ومحاولته اليسيرة جداً، ناهيك به مقدِّمة لموضوع مرصود أكثر، وهو عنوانه المزمع تقديمه!؟ وعلى الرَّغم من ذلك، فإنَّ ما تقدَّم ذكره في بداية البحث من إحالات على متعين النَّظَر العربي والغربي، لهو بوابة لبليوغرافيا هذا الموضوع وزيادة.

(٤٣) التحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ٣٤، وينظر: المصدر نفسه: ٣٩.

(٤٤) انفتاح النص الروائي؛ سعيد يقطين: ١٢.

(٤٥) نسيج النص؛ الأزهر الزناد: ١٥.

(٤٦) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان؛ أوزوالد ديكر: ٥٣٣.

(٤٧) النَّص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٧١.

(٤٨) لسانيات النَّص؛ محمد خطابي: ١٣.

(٤٩) مدخل إلى علم النص؛ محمد الأخضر: ٢٠.

(٥٠) نظرية النَّص؛ حسين خمري: ٤٣. وينظر: والأسلوبية وتحليل الخطاب؛ منذر عياشي: ١٢٢.

(٥١) المصدر نفسه: ١٠٠.

(٥٢) المصدر نفسه: ١٠٠.

(٥٣) مدخل إلى علم النَّص؛ زتسيسلاف اوورنيك: ٥٨.

(٥٤) نسيج النَّص؛ الأزهر الزناد: ١٢.

(٥٥) درس السيميولوجيا: ١٤.

(٥٦) المصدر نفسه: ٦٠.

(٥٧) التحليل النصي؛ رولان بارت: ٢٧.

(٥٨) درس السيميولوجيا: ١٤.

(٥٩) من النَّصِّ إلى الفعل: ١٠٥. وينظر: المصدر نفسه: ٧٨. ونظرية التأويل؛ بول ريكور: ٥٦-٥٧.

(٦٠) من النَّصِّ إلى الفعل: ١٠٦.

- (<sup>١١</sup>) تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص": ١٢٠.
- (<sup>١٢</sup>) ينظر: من النَّصِّ إلى الفعل؛ بول ريكور: ٧٩.
- في سؤال يطرحه ريكور، كما في ماهية النَّصِّ، عن ماهية الخطاب، وتحديدته تحديداً مخالفاً لما هو معروف من توصيفات، بوصفه حدثاً، يقول: "لكن ما هو الخطاب؟ لن نطلب الجواب من المنطقة، ولا حتّى من المدافعين عن التحليل اللساني، بل من علماء اللغة. الخطاب هو الرأي المخالف لما يسمّيه هؤلاء بالنَّسق أو النِّظام اللِّساني، الخطاب يعني حدث الكلام". المصدر نفسه: ١٤١.
- (<sup>١٣</sup>) ينظر: النَّصِّ والخطاب والاتصال؛ محمد العبد: ١١.
- (<sup>١٤</sup>) معجم تحليل الخطاب؛ باتريك شارودو: ٥٥٤. وينظر: المصدر نفسه: ٤٣، و١٨٠، و٣٣٤.
- (<sup>١٥</sup>) ينظر: المصدر نفسه: ١٨١، و٢١٥.
- (<sup>١٦</sup>) ينظر: مقدمة في نظريات الخطاب؛ ديان مكدونيل: ٦٧، ونظرية التأويل؛ بول ريكور: ٣٩، و٤٢، و١١٧.
- (<sup>١٧</sup>) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي؛ طه عبد الرحمن: ٢١٥.
- (<sup>١٨</sup>) ينظر: النَّصِّ والخطاب والاتصال: ٩، وانفتاح النَّصِّ الروائي؛ سعيد يقطين: ١٠، والخطاب والنص؛ عبد الواسع الحميري: ١٢٢.
- (<sup>١٩</sup>) معجم تحليل الخطاب؛ باتريك شارودو: ٥٥٣. وينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية؛ أحمد المتوكّل: ٢١ - ٢٢.
- (<sup>٢٠</sup>) يقول الأستاذ محمد العبد، في المفارقة النظرية بين الخطاب والنَّصِّ: "مهما يكن من أمر، فإنَّ هناك فروقاً أولية يُعقّد عليها الإجماع نظرياً، من أهمها ما يأتي: ١. ينظر إلى النَّصِّ في الأساس من حيث هو بنية مترابطة تكوّن وحدة دلالية. وينظر إلى الخطاب من حيث هو موقف ينبغي للغة فيه أن تعمل على مطابقته. ٢. يحصل من ذلك القول بأن الخطاب أوسع من النَّصِّ؛ فالخطاب بنية بالضرورة ولكنه يتسع لعرض ملايسات إنتاجها وتلقيها وتأويلها. ويدخل في تلك الملايسات ما ليس بلغة كالمسلوكيات الحركية المصاحبة إيجابياً للاتصال. ٣. النَّصِّ في الأصل هو النَّصِّ المكتوب، والخطاب في الأصل هو الكلام المنطوق، ولكنه يتلبّس بصورة الآخر على التوسع؛ إذ يطلق النَّصِّ على المنطوق، كما يطلق الخطاب على المكتوب؛ الخطاب الروائي. ٤. يتميز الخطاب عادة بالطول؛ وذلك أنَّه في جوهره حوار أو مبادلة كلامية. أما النَّصِّ فيقصر حتّى يكون كلمة مفردة (مثل: "سكوت!") ويطول حتّى يصبح مدونة كاملة (مثل: "رسالة الغفران"). ٥. يرتبط ميل الخطاب عادة إلى الطول والامتداد والحوارية بتمكينه من التَّعبير عن وجهات النَّظر والمواقف المختلفة..." [النَّصِّ والخطاب والاتصال: ١٢].
- (<sup>٢١</sup>) المصدر نفسه: ١١.
- (<sup>٢٢</sup>) مقدمة في نظريات الخطاب؛ ديان مكدونيل: ٢٩.
- (<sup>٢٣</sup>) تحليل الخطاب الروائي؛ سعيد يقطين: ١٧، وينظر: مصدره.
- (<sup>٢٤</sup>) المصدر نفسه: ١٩، وينظر: مصدره.
- (<sup>٢٥</sup>) الخطاب وخصائص اللغة العربية: ٢٤.
- (<sup>٢٦</sup>) المصدر نفسه: ٢٤.

(٧٧\*) "روبيك"، هو لغز ميكانيكي ثلاثي الأبعاد اخترع في عام ١٩٧٤م من قبل النحات وأستاذ العمارة المجري إرنو روبيك، وسمي في الأصل المكعب السحري، وحاز على جائزة أفضل لغز. ينظر: الموسوعة الحرة. ويكيبيديا. الشبكة العالمية للمعلومات "الانترنت". "مكعب. روبيك". [www.wikipedia.org/wiki](http://www.wikipedia.org/wiki). وسيأتي عليه مزيد من مقاربة وكلام، بياناً وإيضاحاً، قريباً، إن شاء الله تعالى".

(٧٨) ينظر: أسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ١١٥، والأسلوبية وتحليل الخطاب؛ منذر عياشي: ١٢٤،

(٧٩) ينظر: لسان العرب؛ ابن منظور، مادة (نصص): ٩٧ / ٧ - ٩٨.

(٨٠) ينظر: المقرر في توضيح منطق المظفر؛ رائد الحيدري: ٢ / ٢١٦ - ٢٦٣.

(٨١) نحو النص؛ أحمد عفيفي: ٢٠.

لا ريب في أن هذه الوظيفة هي الوظيفة الأساسية التي تمثل مسؤوليتها اللغة بدهاء، "أي: تحقيق التفاهم بين البشر"، وحين تنعكس على النص؛ فلائته تجل من تجلياتها. ولها أيضاً (وهذا بالضرورة ينسحب على النص أيضاً) من الوظائف الأخرى الكثير، [ينظر: قضايا الشعرية؛ رومان جاكوبسن: ٣٣]، فضلاً عن ذلك فأن لها (وهو ما يجري عليه مفهوم النص الواصف) من السمات سمة "الانتقال إلى وصف وظيفة النصوص في المؤسسات والعلوم المرتكزة على النص، مثل علم القانون وعلم اللاهوت...". تفسير النص؛ ديتريش بوسه: ٢٥.

(٨٢) يحدد "كلاوس برينكر" مفهوم الوظيفة بالقول: "يفهم تحت "وظيفة" بوجه عام مهمة شخص ما أو عضو ما أو موضوع ما داخل مجموع. وهكذا يتحدث مثلاً عن وظيفة القلب، ووظيفة الغدة الدرقية، ووظيفة المعدة، ووظيفة شكل الرواية". ثم يسحب هذا المفهوم إلى ما يؤديه النص في العملية التواصلية، يقول: "يمكن أن يحدد مصطلح وظيفة النص" بداية بشكل مؤقت للغاية بربطه بالاستخدام اللغوي العام للفظ "وظيفة"، بأنه المعنى الذي يتحصل لنص ما في عملية تواصل أو بأنه الغرض الذي يحققه نص ما في إطار موقف تواصلية". [التحليل اللغوي للنص: ١٢١].

وقد قدم علماء اللسانيات لوظائف النص، جملة من القراءات المتعددة بحسب ما تنتمي إليه، منها: التواصلية والإبلاغية، والإعلامية وغيرها، هذه القراءات أصبحت في بعض من مسائلها أساساً مهمّة لتحديد النصوص وأنواعها. ينظر: التحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ١٣٧، ١٤٦، ١٥٤، ١٩٢، ونظرية النص؛ حسين خمري: ٦٧ - ٧٦.

(٨٣) النظرية والنص، "مدخل أولي إلى علم النص"؛ كيببيدي فارغا: ٦٢.

يوافق "جوناثان كلر"، "فان دايك" في الخروج من إشكالية النص مفهوماً وحداً إلى نحو قواعد التحليل والتفسير إجراء، على الرغم من سعتها وشموليتها، يقول "جوناثان كلر": "إننا نستطيع الوصول إلى القواعد التي تحكم تفسير النصوص، وليس القواعد التي تحكم النصوص، إننا يمكن أن نؤسس المعايير والإجراءات التي تنتج التفسير، عندما نبدأ بإقامة مجال من التفسيرات المقبولة لدى القراء الماهرين". [دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة؛ سعيد حسن بحيري: ٧٠]. أقول: يبدو لي أن كلاً من توصيف "فان دايك"، و"جوناثان كلر" في إجرائية التحليل وقواعد التفسير، توجيه مفهوم النص من جانب ما فيه من مداخل واختصاصات، وهي على سعتها وشمولها داعية إلى تأسيسه، تأسيس جهاز النص، حتى كأن الوصف النصي تحليلاً وتفسيراً أمراً يفرضي إلى الإيفاد بتعريفه مفهوماً، وإلا فكيف يمكن النظر في منظور فيه من غير وجود له، ولو إجمالاً!. والدليل من "فان دايك" نفسه، حين وسّم سلوك التحليل ومبادئه الإجرائية بـ"النص الواصف". [ينظر: النظرية والنص، "مدخل أولي إلى علم النص"؛ كيببيدي فارغا: ٦٤].

- (<sup>٨٤</sup>) النظرية والنص، "مدخل أولي إلى علم النص"؛ كبيدي فارغا: ٦١.
- (<sup>٨٥</sup>) المصدر نفسه: ٦٥.
- (<sup>٨٦</sup>) المصدر نفسه: ٦٥.
- (<sup>٨٧</sup>) علم لغة النص؛ سعيد حسن بحيري: ٩٩.
- (<sup>٨٨</sup>) التحليل اللغوي للنص: ٢٨.
- (<sup>٨٩</sup>) ينظر: النظرية والنص؛ كبيدي فارغا: ٦٢.
- (<sup>٩٠</sup>) التحليل اللغوي للنص: ٢٨.
- (<sup>٩١</sup>) المصدر نفسه: ٣٤.
- (<sup>٩٢</sup>) المصدر نفسه: ٣٤.
- (<sup>٩٣</sup>) المصدر نفسه: ٣٤.
- (<sup>٩٤</sup>) أسس علم لغة النص: ١٢٠.
- (<sup>٩٥</sup>) المصدر نفسه: ١٦٧.
- (<sup>٩٦</sup>) المصدر نفسه: ١٦٧.
- (<sup>٩٧</sup>) المصدر نفسه: ١٢٠ - ١٢٦.
- (<sup>٩٨</sup>) المصدر نفسه: ١٢٧ - ١٤٥.
- (<sup>٩٩</sup>) المصدر نفسه: ١٤٦ - ١٥٧.
- (<sup>١٠٠</sup>) المصدر نفسه: ١٥٨ - ١٦٧.

يبدو لي من هذه المداخل المتعددة، فضلاً عما تقدمها من معايير نصّية النصّ في قراءة "دي بوجراند"، يبدو أنّها عبارة عن توصيف نصوص واصفة للنصّ، بمعنى أنّ كلّ مدخل/مكوّن منها . حين يتولّف نظاماً . يشكّل نصّاً واصفاً لنفسه ولغيره. ناهيك بها مستويات معرفيّة متداخلة بامتزاج شديد مع قراءة النصّ فهماً واستيعاباً وانتاجاً.

- (<sup>١٠١</sup>) أسس علم لغة النصّ: ١٦٩.
- (<sup>١٠٢</sup>) المصدر نفسه: ١٧٩.
- (<sup>١٠٣</sup>) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٦ - ١٧٩.
- (<sup>١٠٤</sup>) نظرية النصّ؛ حسين خمري: ٥١ - ٥٢، وينظر: مصدره.
- (<sup>١٠٥</sup>) نظرية النصّ؛ حسين خمري: ٢٦٦.
- (<sup>١٠٦</sup>) المصدر نفسه: ٢٦٧.
- (<sup>١٠٧</sup>) ينظر: أنظمة العلامات؛ سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد: ١١٢.
- (<sup>١٠٨</sup>) ينظر: أسس علم لغة النصّ؛ مرجوت هاينه مان: ١١٥، و ٢٣٤.
- (<sup>١٠٩</sup>) علم لغة النصّ؛ سعيد حسن بحيري: ١٩.

وعلى نحو مواثقة لما في "تعدّد الأشكال النصّية"، من أصول وصفها تحليلاً، يقول الأستاذ "حسن بحيري" أيضاً: "تكشف مناهج التحليل والتفسير عن أوجه تداخل شديد؛ إذ نلاحظ أنّ أغلبها يوظف عناصر لا تنتمي إلى علم بعينه، بل إلى

علوم مختلفة، ويجتهد في تحقيق نوع من المواءمة بين تلك العناصر المختلفة لتشكيل نسيج متشابك معقد، يتخذ شكلاً من أشكال النظرية أو النموذج يمكنه من تحليل وتفسير دلالات العلامات التي تكون في النصوص". [دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ٦٩ - ٧٠].

(١١٠) علم لغة النَّصِّ: ١٩. وينظر: مدخل إلى علم النَّصِّ؛ زتسيسلاف واورزيناك: ٥٨، وبلاغة الخطاب وعلم النص؛ صلاح فضل: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(١١١\*) هنا أدكر القارئ الكريم بفكرة مكعب "روبك" التي تقدّم ذكرها، ومقاربتها بالنص. فالنص، في ظني، مثل مكعب ذي أوجه متعدّدة في ذات موحدة، مستنّة بسنن من المتقابلات وشبكة من العلاقات العمودية والأفقية والطولية إن سطحاً أو عمقاً، تعمل بأنظمة القيم المتفاعلة باتساق وانسجام، في مركزية نواة هي العقل الجمعي لهذه الأدب اللسانيّة ومستوياتها، وقد تمثّلت باللون متعدّدة ووجوه متقاربة، متباعدة. ناهيك بما يحتويه كلّ وجه منه من المكعبات الصّغيرة وأوجها وألوانها المتعدّدة أيضاً. فكّل وجه فيه من الاختلاف والتّوافق ما تُمسك به تلك النّوّة من أن ينفلت أو يقع، حتّى كأنّها تمثّل قوة جذبٍ لهذه المكعبات، تعمل على شدّها وترابطها، سواء الحاضرة منها في الوجه المقابل، أم الغائبة منها في الوجه القريب البعيد. إنّه عالم مصغّر مقارنة بنصّ العالم الأكبر.

ولعليّ أتصوّر مفهوم المشابهة هذا، وقد قارب مفهوم فعل القراءة أيضاً، كما سيأتي، إن شاء الله تعالى، فالقارئ الذي يمسك بالنصّ - المكعب - يحاول أن يصل إلى توافق معرفي وتفاعل مع المؤلّف الذي لغز كتابته بالشفرات والرّموز والدلالة؛ وذلك بسدّ الشّغرات وملء الفراغات الاعتبارية. بحسب قراءة "نظرية التّفاعل والاستجابة بين القارئ والنصّ" التي تتمظهر بالألوان. بمقولة الاحتمالية. بدل اختلافها، على لونٍ معيّن، وجهة واحدة، للوصول إلى تفاعل وفهم بينهما. وكلّ بحسبه من قدرة وأهليّة ومرجعيات وثقافة. وقد أذهب إلى أبعد من هذا النّصّور إلى ما يماثله في مراحل الإدراك والتّعرّف والفهم والتّفسير. الغاية. تلك التي تولّف مراحل للفهم ومستويات لاستيعاب النصّ وفهمه وإنتاجه.

رُبّما يعترض أحد ما على أن ثمة مفارقة في تشبيه النصّ بلعبة "روبك"؛ أقول أجمل بلعبة تقوم على هندسة فذة تؤيس لنفسها هدفاً وتحدياً للاعب، تقود إلى دهشة في التّصرّف، وقدرة على امتياز تكوين المختلف إلى مؤتلف في وجه قصدي واحد. ناهيك بقول إنّ القراءة لعبة، لعب أدوار، ولعب قواعد، قائمة على التأمليّة والمعرفة الذكائيّة والاستراتيجية. كما يصفها فانسون جوف. في قراءته: ٦١، ٦٣، و١٢٤.

(١١٢) إشارة إلى قوله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب "A": "من عرف نفسه فقد عرف ربّه". ينظر: شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد: ٢٠ / ٢٩٢، رقم الحكمة (٣٣٩)، وعر الحكم؛ عبد الواحد الأمدي: ٣٥٢ رقم (١٠١١).

(١١٣\*) إنّ مفهوم النصّ، ثقافة، موضوع نسبي؛ صحيح أنّ "كلاماً ما لا يصير نصّاً إلا داخل ثقافة معيّنة، فعملية تحديد النصّ ينبغي أن تحترم وجهة نظر المنتمين إلى ثقافة خاصّة...، ولكن صحيح أيضاً أنّ الكلام الذي نعتبره ثقافة ما نصّاً قد لا يُعتبر نصّاً من طرف ثقافة أخرى، بل هذا ما يحدث في الغالب...". قضية البنيوية؛ عبد السلام المسدي: ٢١١. وينظر: مفهوم النصّ؛ نصر حامد أبو زيد: ٢٤ - ٢٥.

(١١٤) فعل القراءة؛ فولفغانغ إيزر: ٩٤. وينظر: نظرية التّأويل؛ بول ريكور: ٦٣، وما الأدب؛ جون بول سارتر: ٥٣.

(١١٥) الخطاب والتّأويل؛ نصر حامد أبو زيد: ١٣٤. وينظر: مفهوم النصّ؛ نصر حامد أبو زيد: ٢٤، وفعالية القراءة؛ محمد بن أحمد جهلان: ٦٧.

- (١١٦) مناهج النقد الأدبي الحديث؛ وليد القصاب: ٢٢٢. وينظر: فعالية القراءة؛ محمد بن أحمد جهلان: ٣٢ - ٣٤.
- (١١٧) ينظر: لسان العرب، مادة (قرأ): ١ / ١٢٨.
- (١١٨) يبدو لي أنّ فعل "اقرأ"، [سورة العلق، من الآية: ١] في النَّصِّ القرآني، إنّما يُوَصِّلُ حقيقة تبيّن تلك الأبعاد الاستعماليّة المعرفيّة والانمائيّة، منهجاً قائماً على أساسها "قراءة"؛ لتتنظم، من بعدُ، في تصوّراتها، ابتداءً من القراءة نفسها وأدوات أصول الكتابة في: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [سورة القلم، الآية: ١]، إذ يبدأ بفعليّتها ويُقرن معها قدرة خاصّة باسم الرّب "سبحانه"، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [سورة العلق، الآية: ٣] ثمّ ينتقل إلى أصلٍ خاصٍ مرّةً أخرى من بداية الخلق والتّكوين إلى انتهائه في "ورثك الأكرم"، ﴿وَيَتَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، [سورة الرحمن، الآية: ٢٧]. وبين هذا الجلل والنّشأة والتّكوين يلتقي العبد مع نصّ العالم الأفافي منه والأنفسي، في قراءة التّدبّر والتّفكّر والتأمّل. قال تعالى: ﴿سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أُنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ نَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سورة فصلت؛ من الآية: ٥٣]. ينظر: في مقارنة هذا التّصوّر: نظريات القراءة في النّقد المعاصر؛ حبيب، مونسى: ٩ - ١٠.
- (١١٩) ينظر: في قراءة النَّصِّ؛ قاسم المومني: ٩٦ - ٩٧.
- (١٢٠) فعل القراءة؛ فولفغانغ إيزر: ١٠٢.
- (١٢١\*) لا شكّ في أنّ محاولتي اليسيرة، ثمّة، عبارة عن قراءة، بل أنّ وضع هذا الهامش؛ لتوضيح ما صدق على مفهوم المركز. المتن. ما هو إلاّ قراءة على قراءة ذات مستوياتها متداخلة، فكلٌّ من إدارة النَّصوص أعلاه فهماً واعتماداً، عبارة عن توصيف يتحكّم به فعل القراءة نفسها؛ وذلك للوصول إلى مفهوم: ما القراءة؟، وما الذي تستند إليه، أو تقوم عليه من استراتيجيات وأهداف؟، حتّى يتمظهر القارئ بالكاتب والنّصّ، بتفاعل على وعي من نحو دائرة الاكتمال في نظرية التلقّي عموماً، والوصول بفاعليّة الغاية إلى نصّ واصفٍ يعمل على أن يقدّم فهماً؛ لكي يصل إلى فهم آخر، وهكذا.
- (١٢٢) علم النص: ١٤.
- (١٢٣) المصدر نفسه: ١٤.
- (١٢٤) المصدر نفسه: ٢١.
- (١٢٥) المصدر نفسه: ٤٣.
- (١٢٦) المصدر نفسه: ٢١.
- (١٢٧) ينظر: درس السيميولوجيا: ٥٩.
- (١٢٨) المصدر نفسه: ٦١. وينظر: لذة النص؛ رولان بارت: ١٠٩.
- (١٢٩) درس السيميولوجيا: ٦٠.
- (١٣٠) ينظر: المصدر نفسه: ٦١ - ٦٢. تلخيص وتصرف.
- (١٣١) المصدر نفسه: ٦٣.
- (١٣٢) المصدر نفسه: ٦٣.
- (١٣٣) المصدر نفسه: ٦٣.
- (١٣٤) الأسلوبية وتحليل الخطاب؛ منذر عياشي: ١٠٦، و١٠٧.

(١٣٥) المصدر نفسه: ١٠٨.

(١٣٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٦. واللغة والتأويل؛ عمارة ناصر: ٢٧.

إذا كان ما يقدّمه الدرس الحديث من مرصد تحليلي للخطاب/النص، في هذه المستويات من القراءة، مع غاية في تفسير: "كيف يقول الخطاب ما يقول"، فإنّ رولان بارت، يلفت إلى شيء آخر، شيء من النص نفسه، في رؤية التحليل النصّي، حين يقول: "إنّ التحليل النصّي يحاول أن يقول لا من أين يأتي النصّ (النقد التاريخي)، ولا حتى كيفية تركيبه (تحليل بنوي)، ولكن كيف يتفكك، ويتعجّر، ويستخصب: أيّ سبيل نسقيّة تتبع". [التحليل النصّي: ٥٦ - ٥٧].

إنّها محاولة دقيقة تقفز على أسس التحليل نفسه؛ لتأسس منهجاً خاصاً في الوصف والتحليل النصّي نفسه، لا تبدأ من التساؤل عن القول، وبأيّ طريقة يكون، بل في الكيفيات التي تجري على تفكيك القول وانتاجه، يقول "بارت": "لا يحاول التحليل النصّي وصف بنية عمل أدبي، لا يتعلّق الأمر بترسيم بنية، بل بالأخرى إنتاج بنية متحركة للنصّ (بنينة تنتقل من قارئ إلى آخر عبر التاريخ)..." المصدر نفسه: ٧٦.

(١٣٧) الأسلوبية وتحليل الخطاب؛ منذر عياشي: ١٠٨.

(١٣٨) الحيوان؛ الجاحظ: ٢ / ١١٦.

(١٣٩) نظرية التأويل؛ بول ريكور: ٥٦.

(١٤٠) ما الأدب؟؛ جان بول سارتر: ١٣.

(١٤١) ينظر: من النصّ إلى الفعل؛ بول ريكور: ١٠٥.

ينقاطع تصوّر "ريكور" مع "جاك دريدا" هنا، في تقادميّة الكلام والكتابة: يقول "دريدا" [في الكتابة والاختلاف: ١١٨]: "إنّ الوحدة الولادية الاصلية بين الصوت والكتابة هي وحدة تقادمية. إنّ الكلام الأصليّ كتابة لأنه قانون. قانون طبيعي. والكلام البادئ مسموع في صميم الحضور في الذات كصوتٍ للآخر وكإيعاز".

(١٤٢) ينظر: من النص إلى الفعل: ٨٥. وما الأدب؛ جان بول سارتر: ٢٢، ومبادئ الأسلوبيات العامة؛ بيار لرتوما: ١٠٥.

(١٤٣) ينظر: من النص إلى الفعل؛ بول ريكور: ١٠٥.

(١٤٤) مبادئ الأسلوبيات العامة؛ بيار لرتوما: ٩٩.

تقارب هذا التعريف مرجعيّات ركزت في منظومة التراث، تحتاج حقاً إلى قراءة، ابتداء من المدونة الحديثة، فعن رسول الله "9" أنّه قال: "قيّدوا العلم بالكتاب"، [تحف العقول؛ الحراني: ٥٦، وميزان الحكمة؛ الريشهري: ٧ / ٤٣٤]. إلى المصطلحيّة في الفنون: الصّرف والنّجويد، والأدب والانشاء، إذ نقل القلقشندي "ت ٨١٢هـ"، قال: "عرفها صاحب مواد البيان بأنّها صناعة روحانيّة تظهر بألّة جثمانية دالّة على المراد بتوسط نظمها... معنى الروحانيّة فيها بالألفاظ التي يتخيّلها الكاتب في أوامه ويصوّر من ضمّ بعضها إلى بعض، صورة باطنة قائمة في نفسه، والجثمانية بالخطّ الذي يخطّه القلم، وتقيّد به تلك الصورة وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة، وفسر الآلة بالقلم وبذلك يظهر معنى الحدّ، وما يدخل فيه ويخرج عنه، ولا شك أنّ هذا التحديد يشمل جميع ما يسيطره القلم ممّا يتصوره الذهن ويتخيّله الوهم فيدخل تحته مطلق الكتابة كما هو المستفاد من المعنى اللغويّ". صبح الأعشى في صناعة الإنشا:

- ١/ ٨٢. وينظر: شرح شافية ابن الحاجب؛ رضي الدين الاسترأبادي: ٣/ ٢١٤، والنشر في القراءات العشر؛ ابن الجزري: ٤/ ١٤١٩. [باب الوقف على مرسوم الخط]. والتوقيف على مهمات التعاريف؛ المناوي: ٢٨٠.
- (١٤٥) ينظر: نظرية التأويل: ٦٠.
- (١٤٦) ينظر: المصدر نفسه: ٦٠.
- (١٤٧) ينظر: الأسلوب والأسلوبية؛ بيير جيرو: ٣٢.
- (١٤٨) الأسلوبية وتحليل الخطاب؛ منذر عياشي: ١٠٨.
- (١٤٩) ينظر: ما الأدب: ٢٣.
- (١٥٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٣، و٢٠.
- (١٥١) ينظر: نظرية التأويل؛ بول ريكور: ٥٧.
- (١٥٢) المصدر نفسه: ٥٧.
- (١٥٣) ينظر: القراءة؛ فانسون جوف: ٤٢.
- (١٥٤) ينظر: من النص إلى الفعل؛ بول ريكور: ١٠٧.
- (١٥٥) ينظر: المصدر نفسه: ٦٠. وما الأدب؛ جون بول سارتر: ٢١.
- (١٥٦) ينظر: التحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ١٣٧، و١٥٤، ونظرية النص؛ حسين خمري: ٦٧ - ٧٦.
- (١٥٧) ينظر: نظرية التأويل؛ بول ريكور: ١٠٧.
- (١٥٨) درجة الصفر للكتابة؛ رولان بارت: ٣٦.
- (١٥٩) المصدر نفسه: ٣٦.
- (١٦٠) علم النص؛ جوليا كريستيفا: ٩.
- (١٦١) المصدر نفسه: ٩. وينظر: أسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ١٤٦.
- (١٦٢) درجة الصفر للكتابة؛ رولان بارت: ٢٧.
- (١٦٣) نظرية النص؛ سعيد النكر: ١٥٠.
- (١٦٤) الخطيئة والتكفير: ٥٥.
- (١٦٥) ما الأدب: ٤٤.
- (١٦٦) المصدر نفسه: ٦٥.
- (١٦٧) المصدر نفسه: ٦٥.
- (١٦٨) المصدر نفسه: ٥٣.
- (١٦٩) المصدر نفسه: ٥٢. وينظر: المصدر نفسه: ٤٩.
- (١٧٠) المصدر نفسه: ٤٩.
- (١٧١) اللغة والتأويل؛ عمارة ناصر: ٢٥.
- (١٧٢) من النص إلى الفعل؛ بول ريكور: ١٠٦.
- (١٧٣) نظرية التأويل؛ بول ريكور: ١١٧.

- (١٧٤) نظريات القراءة في النقد المعاصر؛ حبيب مونسي: ٢٠.
- (١٧٥) فعالية القراءة؛ محمد بن أحمد جهلان: ٤٥.
- (١٧٦) ينظر: مبادئ الأسلوبيات العامة؛ بيار لرتوما: ٩٢، وتحليل الخطاب؛ جورج يول: ٥، و١٧.
- (١٧٧) ينظر: من النصّ إلى الفعل؛ بول ريكور: ٨٥.
- (١٧٨) منطق فهم القرآن؛ الحيدري: ١ / ٢١٧ - ٢١٩.
- (١٧٩) ينظر: فعل القراءة؛ فولفغانغ إيزر: ٩٤، والقراءة؛ فانسون جوف: ٢٩، والقارئ في الحكاية؛ أمبرتو إيكون: ٢٦، والتأويل؛ أمبرتو إيكو: ٢٣، و٨٥.
- (١٨٠) نظرية التأويل؛ بول ريكور: ٧٩. وينظر: من النص إلى الفعل؛ بول ريكور: ١٠٩.
- (١٨١) نظرية التأويل؛ بول ريكور: ٦٤.
- (١٨٢) المصدر نفسه: ٦١.
- (١٨٣) \* يؤصّل الدرس اللغويّ الحديث أيضاً من الكتابة أنظمة وعلاقات مع اللّغة داعياً لأهمّيّتها، يقول دي سوسور: "فالكتابة . مع أنّها لا تمت بصلة إلى النّظام الداخلي للغة . تستخدم كثيراً لتمثيل اللّغة، أو التّعبير عنها، إذن لا يمكن إهمال الكتابة، بل يجب أن نلم بفوائدها وعيوبها ومخاطرها". ثمّ يقول: "اللّغة والكتابة نظامان متميزان من الإشارات، والهدف الوحيد الذي يُسوِّغ وجود الكتابة، هو التّعبير عن اللّغة...". [علم اللغة العام: ٤٢]، إذن هي لغة إشارية تحيل على لغة أخرى، وتعبّر عنها ليس إلا؛ وهي الحاجة، وإلا لما كان لها أصل، ولكن إدراك عدم الانسجام بينهما؛ يسبب القلق لـ"دي سوسور"، ليفضي به إلى قول: "إنّ الكتابة تطمس المعالم الحقيقيّة للغة. فهي ليست رداء للغة، بل هي شيء تتكرر به،...". [المصدر نفسه: ٤٨]. وأنكر عليها عجز التّسجيل، على الرّغم من قيام مفهومها عليه؛ ذلك "إنّ لفظ كلمة ما، لا يقرّره نظام الكتابة، بل تاريخ هذه الكلمة... أي أصولها" [المصدر نفسه: ٤٩].
- (١٨٤) القراءة؛ فانسون جوف: ٢٩. وينظر: اللسانيات؛ عبد السلام المسدي: ٦٧، واستراتيجيات القراءة؛ بسام قطوس: ٢٩.
- ليس فحسب في حدود الأنظمة واختلافها بين صوت وكتابة، بل في النظرة إلى نحو العلامة نفسها أيضاً، فـ"جاك دريدا"، يصوّر أنّ "الوجود مكتوب"، وأنّ "الكتابة لوغوس"، أي: عقل أعلى ومرجعية متعالية للخطاب، وأنّ نظام المدلول لا يكون أبداً معاصراً لنظام الدال، بل هو في أفضل الأحوال نقيضه أو موازيه، المنزاح عنه بحذق للزمن الكافي لنفسه. وتشكل العلامة هنا وحدة اختلاف، ما دام المدلول... ليس في ذاته دالاً ولا أثراً؛ ليس، بأية حال، مؤسساً في معناه بالارتباط مع الأثر الممكن". الكتابة والاختلاف: ١١٩.
- (١٨٥) \* التمثيل بالأستاذ ريكور، ليس على نحو المقايضة بغيره، بل في حدود الممكن من القراءة هنا، وإلا فالموضوع أعمق.
- (١٨٦) نظرية التأويل: ٦٠.
- (١٨٧) من النص إلى الفعل: ٨٥.
- (١٨٨) نظرية التأويل: ٦١. وينظر: المصدر نفسه: ٧٩ - ٨١.

يقول ريكور أيضاً [في: من النَّصِّ إلى الفعل: ٢٤]: "الكاتبة تفتح، فعلاً، مصادر أصليّة أمام الخطاب... وذلك أولاً: لأنّها تطابقه مع العبارة (أحد يقول شيئاً عن شيء لأحد آخر). وثانياً: لأنّها تميزه بتأليف متتاليات من العبارات في شكل محكّي أو قصيدة أو محاولة. وبفضل الكتابة يكتسب الخطاب استقلالاً ذاتياً دلاليّاً ثلاثياً: تجاه المتكلّم، وتجاه تلقّي حضور بسطاء، وتجاه الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تُنتجُه. بهذا المعنى يَنْتزَع المكتوب نفسه عند حدود الحوار المتواجه، ويصبح هو شرطٌ صيرورة الخطاب نصّاً. ويبقى على الهرمينوطيقا استتباغات صيرورة . النص هذه لاستعمالها في التأويل".

(<sup>١٨٩</sup>) من النَّصِّ إلى الفعل: ١٠٦.

(<sup>١٩٠</sup>\*) لعلّ مقارنة هذه المستويات بقراءة "رومان ياكوبسون"، وما قَمَّه من رؤى متصافرة تقوم على مبدأ "أنّ اللّغة يجب أن تدرس في كلّ وظائفها"، لعلّها توضّح لنا كثيراً من إشكاليّات هذه المرجعيّة، ذلك في أنّ "العوامل المكوّن لكلّ سيرورة لسانيّة ولكلّ فعل تواصل لفظي"، كما يقول رومان ياكوبسن، إنّما تقوم مرجعيّاتها وأصولها التأسيسيّة على قاعدة: "أنّ المرسل يوجّه رسالة إلى المرسل إليه. ولكي تكون الرّسالة فاعلة، فإنّها تقتضي، بادئ ذي بدء، سياقاً تحيل عليه (وهو ما يدعى أيضاً "المرجع" باصطلاح غامض نسبياً)، سياقاً قابلاً لأن يدركه المرسل إليه، وهو إمّا أن يكون لفظياً أو قابلاً لأن يكون كذلك، وتقتضي الرّسالة، بعد ذلك، سنناً مشتركاً، كليّاً أو جزئياً، بين المرسل والمرسل إليه (أو بعبارة أخرى بين المُسنّن ومفكّك سنن الرّسالة)؛ وتقتضي الرّسالة، أخيراً، اتصالاً، أي قناة فيزيقيّة وربطاً نفسياً بين المرسل والمرسل إليه، اتصالاً يسمح لهما بإقامة التّواصل والحفاظ عليه". [قضايا الشعرية: ٢٧، وينظر: أساسيات اللّغة؛ رومان جاكوبسن: ١١١-١١٦]. وللمزيد من معرفة التّحديدات المحوريّة لمفهوم الاتصال، وذلك التّنوع وما يمثّله السّياق من رصيد حضاري للقول، وكيف يكون خلفيّة للرّسالة تمكن المتلقّي من التّفسير والفهم. ينظر: تفسير النَّصِّ؛ ديتريش بوسيه: ٢٥ وما بعدها، والخطيئة والتكفير؛ عبد الله الغدامي: ١٢، وما بعدها.

أقول: ماذا إذن، يبقى للكتابة سوى أنّها تحيل على ذلك بالافتراض فحسب؟! وهل تفي بمطلب السّياق من غير خلق مساحات معيّنة؟! تبقى لأفعال القراءة مجالاتها الخاصّة؛ للردّ على متصوّر القصد، وهو الأمر الذي يفتح أبواب التأويل على أنساق، تسجّل القراءة فيها لنفسها سمة، ولمرجعياتها موقفاً.

(<sup>١٩١</sup>) ينظر: المصدر نفسه: ٨٥-٨٦.

(<sup>١٩٢</sup>) ينظر: المصدر نفسه: ١١٢.

وفي تعيين عكسي "من الفهم إلى الشرح"، في "من الشرح إلى الفهم"، يوضّح ريكور النسقين من القراءة أكثر، يقول: "باعتبارنا قراء، إمّا أن نبقي في حالة تعلق إزاء كلّ عالم متطلع إليه، أو أن ننتم مرجعيّات النَّصِّ المحتملة غير المعلنة في وضع جديد، أي وضع القارئ. في الحالة الأولى نتعامل مع النَّصِّ ككليّة لا عالم لها، وفي الثانية نخلق مرجعيّة معلنة جديدة، بفضل نوع التّنفيد" الذي ينطوي عليه فن القراءة. وهاتان الإمكانيتان موجودتان أيضاً في فعل القراءة،... المصدر نفسه: ١٥٨.

(<sup>١٩٣</sup>) ينظر: القراءة؛ فانسون جوف: ١٨، ٤٢، ٦٨، وفعل القراءة؛ فولفغانغ إيزر: ١١، ٢٠، ٢٤، ٥٥، و٩٤،

٩٨، ونظرية التلقي؛ روبرت هولب: ٣١، ١٥٢، ١٩٩، ٢٠٣، والنظرية الأدبية؛ ديفيد كارتر: ٥٧، ٨٥، ١٠٧، ١١٧، وأسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ٢٠٧، والتأويل؛ أمبرتو إيكو: ٢١، ٨٥، والقارئ في الحكاية؛ أمبرتو

إكو: ٦٨، و٧٠، وجمالية التلقّي؛ هانس روبيرت يابوس: ٨٥، و١٠١، و١٢٣، ومن النّصّ إلى الفعل؛ بول ريكور: ٢١، ومعايير تحليل الأسلوب؛ ريفارثير: ٤١-٤٢، والنظرية والنص؛ كيبدي فارغا: ١٤٣-١٦٤، وفلسفة القراءة؛ حبيب مونسي: ١٦٤، و١٩٨، و٢١٣، ونظريات القراءة في النقد المعاصر؛ حبيب مونسي: ١٢٣، و١٤٨، و١٧٠، و١٨٦، و٢٣٤، ومن فلسفات التأويل؛ عبد الكريم شرفي: ١٤٣، و١٧٩، و٢٠٦، و٢١٢، واللغة والتأويل؛ عمارة ناصر: ٢٠، و٣٦، ومناهج النقد الأدبي الحديث؛ وليد قصاب: ٢١٤، والتلقي والتأويل؛ محمد عزام: ١٩، و٢٩، و٣٦، و٤١، و٥١، و٥٨، و٦٣، و٧٥، والقراءة السقّيّة؛ أحمد يوسف: ٢٥، و٢٧، و١٩٨، و٢٠٣، و٢٣٩، ونظريات القراءة؛ حسن سحلول: ٩، و١٧، وفعالية القراءة؛ محمد بن أحمد جهلان: ٢٧، و٤٤، والقارئ والنّصّ؛ سيزا قاسم: ٢٥٤، والخروج من التّيه؛ عبد العزيز حمودة: ٩٩، والمرايا المحبّبة؛ عبد العزيز حمودة: ٣٢٢، و٣٤٠، و٣٦١، والخطيّة والتكفير؛ عبد الله الغدّامي: ٢٨، وما بعدها، ونظرية التلقّي؛ بشرى موسى: ٢٢، و٢٨، والأصول المعرفيّة لنظرية التلقّي؛ ناظم عودة خضر: ١١، و٧٥، و١٣٣، و١٤٧، واستقبال النص عند العرب؛ محمد المبارك: ٢٧، و١٥٣، والقراءة الحداثيّة؛ محمد سالم النعيمي: ٢٢، و٢٦، و٥١-٥٩، والنّص من القراءة إلى التّظهير؛ محمد مفتاح: ٢٥، ودينامية النص؛ محمد مفتاح: ٤٢، وعلم لغة النّصّ؛ سعيد حسن بحيري: ١٤٠-١٦٠، والقارئ في النّصّ: ٩٩، و١٢٩، و١٣٥، و١٤٧، و١٦١، ونظرية التلقّي؛ غنيمة كرلوقلي: ٩٠، و١٢٥، ونظرية التلقّي - ندوة: ١١، و١٦، و١٩، و٢٣، و٤٣، والخطاب والقارئ؛ حامد أبو أحمد: ١٥، وقرارات في الخطاب الهرمنيوطيقي؛ عامر عبد زيد: ١٠٧، و١٦٥، ونظريات القراءة في النقد الأدبي؛ جميل حمداوي: ٨، و١١، و٣٢، ونظرية النّصّ؛ حسين خمري: ٦٢-٦٤، و٧٩، و٩٩، و٣٠١، ومدخل إلى علم النص؛ محمد الأخضر الصبيحي: ٢٣-٣٣، ومنطق فهم القرآن؛ الحيدري: ١/ ٢١٨.

(١٤٤) مناهج النقد الأدبي الحديث؛ وليد قصاب: ٢١٦.

(١٤٥) القارئ في النّصّ .مقالة: القراءة بناء: ٨٧.

ثمّة مقارنة، تبدو لي، بين قراءة "تودوروف" و"إيزر"، فإنّ الأخير حين فصل لتأثير النّصّ بسبب بنيته النّصّيّة التي تقوم على وجهين: لفظي، وتأثيري، والأول ردة فعل، والثاني استيفاء. قدّم قائلًا: "يتميز التّأثير الجماليّ بأنّه لا يمكن تثبيته على شيء موجود، وبالفعل فكلمة "جمالي" هي بالذات شيء مُحرَج بالنسبة للغة المرجعيّة؛ لأنّها تعيّن فراغاً في الصّفات التي تُعرّف اللغة، ولا تقدّم تعريفاً فعلياً لها". فعل القراءة: ١٣.

(١٤٦) القارئ في النّصّ .مقالة: القراءة بناء: ٨٧.

الميدان الذي يشير إليه "تودوروف" هو عالم التّخييل، وهو نفسه الموضوع البنائيّ، الذي تمثّل بموضوع دراسة القراءة وصعوبتها. يقول: تحت عتبة "البناء موضوعة": "تنجم إحدى الصعوبات في دراسة القراءة عن حقيقة أنّ القراءة عسيرة جداً على الملاحظة: فالاستيطان ملتبس، والبحث الاجتماعيّ . النفسيّ مضجر، وبناء على ذلك، نجد، بشيء من الوضوح، عمل البناء ممثلاً في العمل التّخييليّ نفسه، وهو المكان الملائم جداً للدراسة". [المصدر نفسه]: ٩٩.

(١٤٧\*) لا غرابة أن يأتي هذا الوصف من بعد، بصيغة فرديّة تعبّر عن مستوى القراءة كاشفة عن خيال كونه بحال ما القارئ، يقول "هورس ستينميتر": "لا يصوغ النّصّ نفسه معناه. فهو "لا يتوالد" ذاتياً أو "يتكوّن" ذاتياً في معنى نصّي إلا بفعل القارئ... لحظة القراءة. إنّها نتاج التّفاعل بين النّصّ والقارئ وليس نتاج القياسات المختبئة في النّصّ والتي [كذا]

يستطيع التأويل وحده أن يكشف عنها. فعندما يوَلد القارئ معنى نصّ من النصوص، فإنّه لمنطقي في النهاية أن يعبر هذا المعنى عن نفسه في صيغة فردية". [النظرية النصّ، مقالة: التلقّي والتأويل، كيبدي فارعا: ١٤٧].

(١٩٨) ينظر: المصدر نفسه: ٩٣.

يتقارب "إيزر" مع رؤية "تودوروف" أيضاً، في هذه النظرة التقاطبيّة في دراسة فعل القراءة للعمل الأدبي، يقول "إيزر": "يمكن أن نستخلص أنّ للعمل الأدبي قطبين، وقد نسميها: القطب الفني والقطب الجمالي، الأول هو نصّ المؤلف، والثاني هو التحقّق الذي يُجرّه القارئ. وفي ضوء هذا التقاطب يتضح أنّ العمل ذاته لا يمكن أن يكون مطابقاً لا للنص، ولا لتحقّقه، بل لا بدّ أن يكون واقعاً في مكان ما بينهما. يجب حتماً أن يكون العمل الأدبي فاعلاً في طبيعته ما دام لا يمكن اختزاله لا إلى واقع النص، ولا إلى ذاتية القارئ. وهو يستمد حيويته من هذه الفعاليّة". [فعل القراءة: ١٢].

(١٩٩) ينظر: القراءة؛ فانسون جوف: ٢٢.

(٢٠٠) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢.

(٢٠١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤.

(٢٠٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥.

(٢٠٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧.

(٢٠٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨.

(٢٠٥) القارئ والنصّ، العلامة والدلالة: ١٩٢.

ولها قولان آخزان، تقول: ١. "إنّ القراءة هي الكفاءة التي يكتسبها البشر لحلّ لغز الرسائل المختلفة التي تبتّ إليهم في محيط حياتهم". ٢. "ندعي أنّ القراءة هي استقبال جميع أنواع العلامات سواء كانت مرئيّة، أو مسموعة، أو ملموسة (مثل كتابة برايل المستخدمة في كتب العمى)، ليست القراءة فكّ شفرة شيء "مكتوب" أو "محفور"، ولكنها في الأصل فكّ شفرة شيء مسموع، هذا من حيث تعريف القراءة بصفة عامة". [المصدر نفسه: ١٩٤].

(٢٠٦) المصدر نفسه: ١٩٣، وينظر: القارئ والنصّ، من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا: ٢٥٤، "بحثها".

(٢٠٧) فعل القراءة: ٩٤.

(٢٠٨) ينظر: المصدر نفسه: ٥٥.

(٢٠٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٢.

(٢١٠) علم النصّ؛ جوليا كريستيفا: ١٠.

(٢١١\*) في إيضاح متواصل مستمر، لفاعليّة القارئ والنصّ، يذكر "إيزر": أنّ النقص الحقيقي في القدرة على التأكيد والقصد المحدّد هو بالضبط ما يحدث هذا التفاعل بين النصّ والقارئ. يقول: "إنّ الوضع والأعراف تنظم الطريقة التي تملأ بها الفراغات، ولكن الفراغات بدورها تنشأ عن الاحتمالية وعن عدم القدرة على التجربة، وتبعاً لذلك تشتغل كمحفّز أساسي على التواصل. وبطريقة مشابهة فإنّ الفراغات (أي عدم التماثل الأساسي بين النصّ والقارئ) هي التي تُحدث التواصل في عملية القراءة، فغياب وضعية مشتركة وإطار مرجعيّ مشترك، يتناسب مع الاحتماليّة و"اللاشيء" اللذان [كذا] يحدثان التفاعل بين الأشخاص. إنّ اللاتماثل والاحتماليّة ومع "اللاشيء" كلّها أشكال مختلفة من البياض المُكوّن وعند

- المحدد، الذي هو أساس كلِّ عمليّات التفاعل... هذا البياض ليس واقعاً وجودياً معطى، ولكنّه مُشكّل ومُعَدّل من طرف عم التوازن الملازم للتفاعلات التثانيّة، وكذا التفاعل بين النصّ والقارئ". [فعل القراءة: ٩٨].
- (٢١١) ينظر: فعل القراءة: ٩٧-١٠٢. والقارئ في الحكاية؛ أمبرتو إيكو: ٦٣، والقراءة؛ فانسون جوف: ٦٨، والنظرية والنص؛ كيببدي فارغا: ١٤٦، ومن فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة؛ عبد الكريم شرفي: ٢٢٥.
- تدفعني القراءة إلى مقارنة مفهوم الحديث القدسيّ: "وسعني قلبُ عبدِي المؤمن" [ينظر الحديث في: الوافي؛ الفيض الكاشاني: ١١/ ٥٣٦، وكشف الخفاء؛ العجلواني: ٢/ ١١، و١٩٥] من جهة هذا التّصوّر على نحو عكسيّ، فإذا تمثّل النصّ بالعالم مقارِبَةً، فالنّور/المعنى يملأ أفقه، ولكن هذا السطوح لا ينفذ إلى أيّ الإنسان، إذ ليس له من مجال بجهة الظلام التي في قلب العبد، حين يبتعد عن ساحة القدس الأعلى والطف الإلهيّ، فإذا أراد أن يصل إلى ساحة النّور/الفهم . وهي بدورها تصل إليه بالإرشاد والهداية والموافقة . ويدخل النّور في قلبه؛ فليدخل هو نفسه بمحاولة سدّ ثغرات القلب تلك، وملء فراغاته وفضاءاته بنور الحبّ والإيمان والمعرفة، على قراءة من نحو النّجّليّ، الذي تتقوّم مواقفه بعلميتي: التّخلّي والتّخلّي. وهو فعل من أفعال خُلقيّة الدّعاء. وإذا استقرّ هذا الفعل، من بعدُ، وأشْفَع بالطّاعة - بحسب مرجعيّة "عبدِي أطعني تكن مثلي" [ينظر الحديث: مشارق أنوار اليقين؛ رجب البرسي: ١٠٠، والجواهر السنية؛ الحرّ العاملي: ٣٦١، وشجرة طوبى؛ الحائري: ١/ ٣٣]. فإنّه سيشرق نور العلم وتتجلّى المعرفة في قلبه، وتتجرّج ينابيع الحكمة من جوانبه، وتقبض على لسانه، ولا يتصرّف بفعل إلا بحبّ وسلامة في هذا الوجود.
- (٢١٢) ينظر: التلقي والتأويل؛ محمد عزام: ٤٣، والخطيئة والتكفير؛ عبد الله الغدّامي: ٢٨.
- (٢١٤) ينظر: نظرية النص؛ سعيد النكر: ١٥١، واستراتيجيات القراءة؛ بسام قطوس: ٣٢.
- (٢١٥) ينظر: نظريات القراءة في النقد المعاصر؛ حبيب مونسى: ٢٤، والتلقي والتأويل؛ محمد عزام: ٦٢.
- (٢١٦) ينظر: الخطيئة والتكفير؛ عبد الله الغدّامي: ٦٩.
- (٢١٧) ينظر: التلقي والتأويل؛ محمد عزام: ٥٤.
- (٢١٨) ينظر: من فلسفات التأويل؛ عبد الكريم شرفي: ٢٠٦.
- (٢١٩) ينظر: مناهج النقد الأدبي الحديث؛ وليد قصاب: ٢١٧.
- (٢٢٠) ينظر: نظرية النص؛ حسين خمري: ٩٥.
- (٢٢١) ينظر: تاريخ القراءة؛ ألبرتومانغويل، ترجمة: سامي شمعون: ٥١.
- (٢٢٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٣.
- (٢٢٣) فلسفة القراءة؛ حبيب مونسى: ١٦٦.
- (٢٢٤) ما الأدب: ٤٩.
- (٢٢٥) التلقي والتأويل؛ محمد عزام: ٥١، وينظر: المصدر نفسه: ٦٠.
- (٢٢٦) فعالية القراءة؛ محمد بن أحمد جهلان: ٤٦.
- (٢٢٧) ينظر: القراءة الحداثيّة؛ محمد سالم النعيمي: ٥٢-٥٣.

في مفارقة بين "روح الحداثة" و"واقع الحداثة" ينكر الأستاذ طه عبد الرحمن تلك "القراءات الحداثيّة" التي تقوم على التقليد الأعمى، وما تسعى إليه من قطعيّة معرفيّة لما يطلق عليه "القراءات الترائيّة"، [ينظر: روح الحداثة: ١٧٥، وما بعدها]. وظنّي أنّه تصوّر معرفي جادّ جداً، الهدف منه تحقيق التوازن المعرفي بين كلّ المناهج القرائيّة للفهم والإبداع.

(٢٢٨) ينظر: الخطاب العربي المعاصر؛ محمد عابد الجابري: ١١-١٢، والتلقي والتأويل؛ محمد عزام: ٦٣-٦٤.

(٢٢٩) ينظر: الخطيئة والتكفير؛ عبد الله الغدّامي: ٤٨.

قد تقع القراءة التشريحيّة محلّ اختيار في قراءة التراث، صحيح أنّها "قراءة حرّة، ولكنّها نظاميّة وجادة، وفيها يتوحد القديم الموروث وكلّ معطياته مع الجديد المُبتكر وكلّ موحياته من خلال مفهوم (السياق) حيث يكون التحوّل. والتحوّل هو إحياء بموت وفي اللحظة نفسها تشير بحياة جديدة. وعلى ذلك فإنّ النّصّ يقوم كرابطة ثقافيّة ينبثق من كلّ النصوص ويتضمّن ما لا يحصى من النصوص. والعلاقة بينه وبين القارئ هي علاقة وجود، لأنّ تفسير القارئ للنّصّ هو ما يمنح النّصّ خاصيته الفنية. ولكن التفسير ليس حدثاً أجنبياً على النّصّ فهو ينبع من داخله،... التشريحيّة [إن] تعتمد إلى إقامة علاقات بين النصوص، لتكشف من خلال ذلك قدرة الكاتب على مواجهة الموروث لأنّ كلّ كاتب يعمل داخل نظام لغوي وثقافي، وليس بمقدور خطابه الخاصّ أن يهيمن على ذلك النظام، فهو يمضي إلى حدّ ما مع الشفرات القائمة. ولذلك فإنّ القراءة التشريحيّة لا بدّ أن تسعى لاستكشاف ما لم يلحظه الكاتب من مداخلات بين ما هيمن عليه من أنماط لغته وما لم يسيطر عليه من هذه الأنماط" [الخطيئة والتكفير: ٥٤].

(٢٣٠) ينظر: مناهج النقد الأدبي الحديث؛ وليد قصاب: ٣٢٩-٣٣٠، والخطيئة والتكفير؛ عبد الله الغدّامي: ٧٠، والتلقي والتأويل؛ محمد عزام: ٥٨.

(٢٣١) ينظر: فعالية القراءة؛ محمد بن أحمد جهلان: ٤٩-٥٠.

(٢٣٢) ينظر: القراءة؛ فانسون جوف: ٣٥، ونظريات القراءة؛ حسن سحلول: ٢٨-٢٩.

(٢٣٣) ينظر: القراءة؛ فانسون جوف: ٣٥.

(٢٣٤) ينظر: انفتاح النص الروائي؛ سعيد يقطين: ٧٧.

(٢٣٥) ينظر: القراءة؛ فانسون جوف: ١٠٤، و١١٠، و١٢٢-١٢٣، ونظريات القراءة؛ جميل حمداوي: ١٢، والتلقي والتأويل؛ محمد عزام: ٦٨، ونظريات القراءة؛ حسن سحلول: ٨٧، و٩٠، والخطيئة والتكفير؛ عبد الله الغدّامي: ٤٧.

(٢٣٦) ينظر: فعل القراءة؛ فولفغانغ إيزر: ٢١، ومناهج النقد الأدبي الحديث؛ وليد قصاب: ٢٢٨-٢٢٩.

(٢٣٧) فعل القراءة؛ فولفغانغ إيزر: ٢٩، والقراءة؛ فانسون جوف: ٣٥.

(٢٣٨) ينظر: فعل القراءة؛ فولفغانغ إيزر: ٢٤.

(٢٣٩) ينظر: معايير تحليل الأسلوب؛ ميكائيل ريفارتيير: ٤١، و٤٣، و٤٥-٤٦، والقراءة؛ فانسون جوف: ٥٣.

(٢٤٠) ينظر: مناهج النقد الأدبي الحديث؛ وليد قصاب: ٢٢٩.

(٢٤١) ينظر: فعل القراءة؛ فولفغانغ إيزر: ٢٥، و٢٧، والقراءة؛ فانسون جوف: ٦١، ومنطق فهم القرآن؛ الحيدري: ١/٢١٢.

(٢٤٢) ينظر: انفتاح النص الروائي؛ سعيد يقطين: ٧٧، والخطيئة والتكفير؛ عبد الله الغدّامي: ٧٤.

(٢٤٣) ينظر: القراءة؛ فانسون جوف: ١٠٢، ونظرية النَّصِّ؛ حسين خمري: ٦٢، والخطيئة والتكفير؛ عبد الله الغدامي: ٦٨، ومناهج النقد الأدبي؛ وليد قصاب: ٢١٨.

(٢٤٤\*) إنَّ اقتران مقولة الفهم بالتفسير في كتب علوم القرآن، على نحو ملازمة. أمر يلفت النَّظْر، ناهيك بالغاية التي ينشدها بقواعده المعرفية، وهي مطالب في الفكر والإدراك لا تستقي من مجال دون آخر، بل من كل ما يمت إلى المعرفة بسبب. إنَّ الفهم، وقد يأخذ أشكالاً مختلفة، فيما يبدو لي. هو المحرك الفاعل لآليات التفسير، فالأخير بمنزلة آلة (وهو المقولة الثانية للفهم أيضاً، التالية له، بوصفه، أعني: التفسير، نتاجاً يقوم على مقدماته، وإلا فكيف نفسر عبارة: فهم الفهم، مثلاً)؛ لملازمة ما يستقي منه أو يأخذ منه من العلوم، بحركتها الدافع. "الإرادة" المعرفي (إدراك عدم معرفة/فهم = نقص، يحرك النَّفس الفاعلة/إرادة قراءة، إلى الاكتمال)، وهو الفهم/البحث عن شيء مجهول؛ لكي يكون في مدارج المعلوم/المفهوم إلى غاية، فنكون معرفة/فهم، وهكذا في حركة من جدل دائر مستمر (مرة عن نحو معرفة/فهم تبحث عن معرفة، ومرة معرفة/فهم دافعة تبحث عن أخرى) على نحو تراكمي بوعي. ولذلك عزف أهل المنطق، ويقترّب منهم علماء النَّفس موافقةً أيضاً: "الفكر" و"النَّظْر": "بأنه حركة العقل بين المعلوم والمجهول". أي: "إجراء عملية عقلية في المعلومات الحاضرة لأجل الوصول إلى المطلوب، والمطلوب هو العلم بالمجهول الغائب". [المنطق؛ محمد رضا المظفر: ٢٣/١، وينظر: المقرر في توضيح منطق المظفر؛ رائد الحيدري: ٢٧/١، وأصول علم النَّفس؛ أحمد عزت راجح: ٣١٧، وسيكولوجية اللغة؛ جمعة سيد يوسف: ٦٥، وما بعدها]. هذا من جانب. ومن جانب آخر، ليس المقصود فيما نحن فيه فحسب، اختصاص ما في منظومة مفاهيم التفسير التي ذكرها العلماء: "التفسير علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد "صلى الله عليه وسلم" وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللُّغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات. ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ" [البرهان في علوم القرآن؛ الزركشي: ٢٥/١]. ليس إلى ذلك فحسب، وإن كانت أسسها المعرفية تشكل، في تصوّر اليسير، مفاهيم عامة لكل أفعال القراءة. أقول: وإن شكّلت منظومة التفسير مقولات القراءة العليا، لما في النَّصِّ الإلهي من إطلاق في كل مجال ومقصد، إلا أنَّ القراءة التي نحن فيها هي عبارة عن توصيف عام لكل فعل قراءة في نص، بل "في كل ما يكون قابلاً للفهم والتعلُّق"، كما سيأتي.

(٢٤٥) ينظر: القراءة؛ فانسون جوف: ٧٥، و٧٨.

(٢٤٦) معايير تحليل الأسلوب؛ ميكائيل ريفارتيير: ٤٥.

(٢٤٧) القارئ والنص، من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا؛ سيزا قاسم: ٢٦٧. "بحث".

(٢٤٨) ينظر: التأويل؛ أمبرتو إيكو: ٨٦.

وربما في منحنى آخر، وعلى نحو تقاعلي أيضاً، بين كل من النَّصِّ والقارئ، فعلى حين يشكل النَّصُّ أنموذجاً مميزاً لنفسه، بسبب التعقيد لاختلافه عن أنظمة التعبير الأخرى، فإنه بذلك يكتسب حركات وأنشطة تتصافر فيها أفعال وعي القارئ ما لا يكون بغيره من الأنظمة السيميولوجية الأخرى. يقول إيكو: "إنَّ النَّصِّ يتميز عن سواه من نماذج التعبير بتعقيده الشديد بما لا يُقاس، أما علة التعقيد الأساسية، فتكمن في كونه نسيج ما "لا يقال"، ما لا يقال" يعني الذي ليس ظاهراً في السطح على صعيد التعبير، على أن "ما لا يقال" هذا هو ما ينبغي أن يُفعل على مستوى تفعيل المضمون، وهكذا يكتسب

نصّ ما، بطريقة أظهر من أيّة رسالة أخرى، حركات تعاضدية فاعلة، وواعية من جانب القارئ". [القارئ في الحكاية: ٦٢].

(٢٤٩) ينظر: إشكالية القراءة وآليات التأويل؛ نصر حامد أبو زيد: ٢١.

(٢٥٠) أسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ٢٠٧.

(٢٥١) المصدر نفسه: ١٨٨.

(٢٥٢) من النصّ إلى الفعل؛ بول ريكور: ١٠٩.

(٢٥٣) المصدر نفسه: ٢٨٠.

(٢٥٤) المصدر نفسه: ٢٨٠.

(٢٥٥) المصدر نفسه: ٢٧٥، و٢٨١.

(٢٥٦) مدخل إلى علم النصّ: ٨٣.

(٢٥٧) الهرمنيوطيقا؛ محمد مجتهد شبستري: ١١.

(٢٥٨) مدخل إلى علم النصّ: ٨٣.

تقترب هذه المفاهيم في مجملها التكامليّ مما قدّمه الراغب الأصفهاني "ت٥٠٢هـ" في [مقّمة جامع التّفاسير: ٣٩]، في (فصل في الآفات المانعة من فهم المخاطب مراد المخاطب)، قال: "الآفات المانعة من ذلك ثلاثة: الأولى: راجعة إلى الخطاب، إمّا من جهة اللفظ، أو من جهة المعنى،... والثانية: راجعة إلى المخاطب، وذلك لضعف تصوّره لما قصد الإنشاء عنه، أو قصور عبارته عن تصوير ما فُصدّ الإنشاء عنه،... والثالثة: راجعة إلى المخاطب، وذلك إمّا لبلاده فهمه عن تصوّر أمثال ذلك من المخاطبة، وإمّا لشغل خاطره بغيره،...". أقول: إنّها أصول الدائرة الثقافيّة في الفهم وفعل القراءة، التي تتادي بها الدراسات الحديثة. إنّها أيضاً، وفي اقتضاب شديد، تمثّل مسرّحاً لمدارج الدائرة التّخاطبيّة، في أركانها الثلاثة: المرسل/البات/المخاطب/الكاتب، والرسالة/الخطاب/النّصّ، والمخاطب/المتلقّي/القارئ.

(٢٥٩\*) تتعقد، هنا، كلّ مكوّنات فعاليّات فهم النّصّ وتفسيره، وما فيها من تبعات سابقة لاحقة، بتضافر كامل نسقاً وانقافاً، فهي لا تكتفي حين التوزيع على جانب دون آخر، بل تشترك فيها جميع العوامل الفاعلة في التّكوين والإنجاز النّصّي، يقول ديتريش بوسه [في تفسير النّصّ: ٢٣٩]: "يتعلّق الأمر في ذلك ابتداءً بالعوامل، التي تصف موقف تلقي النّصّ بأنّه جزء من عملية اتصال أكثر تعقيداً. ويدخل في ذلك: منتج النّصّ مع أهدافه، وقدراته، وفروضه،... إلخ. ومستقبل مع توقعاته، وقدراته، وفروضه،... إلخ. ونصّ... (صياغة نصّيّة) مع بنيته الخاصة، وأخيراً أهم شرط للاتصال، المعرفة المشتركة لشركاء الاتصال". وهو أمر ما يتقارب كثيراً مع ما قدّمه رومان جاكوبسن في قراءته [في: قضايا الشعريّة: ٢٧] لوظائف اللّغة وفاعليّتها التي تقوم على: المرسل والمرسل إليه، والرّسالة والبيّاق والسّنن المشتركة، كما تقدّم بنا القول.

(٢٦٠) ينظر: أسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ٢٧٢.

(٢٦١) ينظر: فعل القراءة؛ فولفغانغ إيزر: ٥٥، و٦٩، وأسس علم لغة النّص؛ مرجوت هاينه مان: ١٦٤-١٦٥، و٣١٢، والنّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٤٢٠، وعلم النّص؛ فان دايك: ٢١٢، و٢٥٧، و٢٧٢، و٢٩٠، و٣١٢، و٣٢٦، والنظرية والنص؛ كيببدي فارغا: ٦٣-٦٥، و٨٧، والتّحليل النّصّي؛ رولان بارت: ٣٣، و٧٧، ومدخل إلى علم النص؛ زتسيسلاف اوروزنيك: ٧٤، و٨٣، واللّغة والمعرفة، مجموعة بحوث، ترجمة؛ سعيد حسن بحيري: ٦٣، وتفسير النص؛

ديتريش بوسه: ١٥، و٢٠١، و٢١٦، و٢٢٩، و٢٥٢، ولسانيات النص؛ كيرستن آدمتيك: ٣٩، و٤٤، ونظرية النقد الأدبي الحديث؛ يوسف نور عوض: ٥١، وما بعدها، ولسانيات الخطاب؛ نعمان أبو قره: ٦٢ - ٦٨. (\*<sup>٢١١</sup>) في بيان وجهة النظر الجواله، بوصفها وسيلة من وسائل وصف الطريقة التي يكون فيها القارئ حاضراً في النص، يطرح "إيزر" جملة من التصورات يمكن أن تشكل مدار نظرية الجشطالت و"التأويل المتسق"، وما يقوم عليه من "الذاكرة والتوقع"، ابتداء من قول: إن "مشكلنا الأول هو كون النص بكامله لا يمكنه أبداً أن يدرك دفعة واحدة. وفي هذا الصدد يختلف النص عن الموضوع المعطاة التي يمكن على العموم اعتبارها، أو على الأقل تصورها كلاً. ولا يمكن تخيل موضوع النص إلا من خلال المراحل المختلفة والمتتابعة للقراءة". [فعل القراءة: ٥٧]، وقول: "إن وجهة النظر الجواله تجزئ النص إلى بنيات متعاقلة، وهذه البنيات تؤيد نشاطاً تجميعياً أساسياً بالنسبة لفهم النص... إن "التأويل المتسق" أو الجشطالت هو حصيله التفاعل بين النص والقارئ، وبالتالي لا يمكن إرجاعه إلى النص المكتوب ولا إلى استعداد القارئ فقط، ولقد بينت تجارب علم النفس اللساني أن المعاني لا يمكن إدراكها فقط من خلال فك سَنن الحروف أو الكلمات المباشرة أو غير المباشرة، ولكن يمكن تأليفها فقط بواسطة عملية التجميع... [المصدر نفسه: ٧٠]. ولذلك أسندت إلى القارئ مهمة الربط بين العلامات وجعلها متناسقة، وليس ذلك التعرّف فحسب، بل "يكمّن دور القارئ في الجشطالت في تعرّفه على العلاقة بين العلامات... [المصدر نفسه: ٧١].

(٢٦٣) ينظر: التفقي والتأويل؛ محمد عزام: ٦٤ - ٦٥، ونظريات القراءة في النقد المعاصر؛ حبيب مونسي: ١٤٦ - ١٤٩.

(\*<sup>٢١٤</sup>) هل تقتصر هذه المطالب على الدرس الحديث؟، أقول: يبدو أن في كتب "علوم القرآن"، ولاسيما فصول ما يجب على المفسّر من شروط وأداب؛ للدخول إلى عوالم النصّ القرآني وتفسيره. ما هو كفيل ببيان الإجابة!، ولقد نأتي على بعض من توصيف ذلك في قراءة مفهوم "النصّ الواصف"، إن شاء الله تعالى، في وقت لاحق.

(٢٦٥) أسس علم لغة النص: ٢٧٢، وما بعدها.

(٢٦٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٢، و٢٧٦.

(٢٦٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٣.

(٢٦٨) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٥.

(٢٦٩) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٣.

(٢٧٠) ينظر: المصدر نفسه: ٣١٢ - ٣١٣.

(٢٧١) ينظر: مدخل إلى علم النص: ٨٣ - ٨٩.

(\*<sup>٢٧٢</sup>) تقدّمت بنا نظرة "هاينه مان" في تحديد مفهوم النصّ، وكيف أنّه، لكي يدرك ذلك المفهوم في نصّيته بدلاً من إغائه، حدّد مداخل أربعة، هي نفسها هذه المكونات التي ذكرها "رتسيسلاف"، الذي ترك منها المدخل الإدراكي، وليتّه ذكره هنا صراحةً. أقول: إن مقارنة ذلك بهذا إنما تقوم على أن مداخل تعيين مفهوم النصّ هناك، هي مكونات لفهمه هنا، وهل ثمة فرق بين المفهوم والفهم؟!، يبدو أن إشكاليات مفهوم النصّ، هي هي إشكاليات قراءته وفهمه واستيعابه. إن مرحلة تحديد مفهوم النصّ فعل مركزي في إدراكه وفهمه من باب "إثبات العرش ثمّ النقش". يمكن أن تكون إذن تلك المداخل

نصوصاً واصفة في بنية تجريدية ونسق مخطط بنظام؛ لتأتي هذه المكونات في سمة أخرى؛ لتكون نصوصاً تقرأ النَّص؛ لفهمه وتفسيره، على نحو مرجعي إنتاجي.

(٢٧٣) مدخل إلى علم النَّص: ٨٩.

(٢٧٤) القارئ والنص، الدلالة والعلامة: ١٠٧.

(٢٧٥) القارئ والنص، من السيميوطيقا إلى الهرمنيوطيقا: ٢٦٧. "بحث"

(٢٧٦) المصدر نفسه: ٢٥٤. "بحث".

(٢٧٧) المصدر نفسه: ٢٥٤.

(٢٧٨) المصدر نفسه: ٢٥٥.

(٢٧٩) المصدر نفسه: ٢٦٧. وينظر: القارئ والنص، الدلالة والعلامة: ١٠٨.

(٢٨٠) الهرمنيوطيقا؛ محمد مجتهد شبستري: ١٢-١٣.

(٢٨١) ينظر: المصدر نفسه: ١٣.

وينكرني هذا المبدأ الدائر بما نقله "الغذامي" في وصف "القراءة التشريحية" من قول لـ"دي مان يصف العلاقة بين النَّص والتفسير: (يعتمد التفسير اعتماداً مطلقاً على النَّص كما أنَّ النَّص يعتمد اعتماداً مطلقاً على التفسير)". [الخطيئة والتكفير:

٥٤].

(٢٨٢) ينظر: الهرمنيوطيقا؛ محمد مجتهد شبستري: ١٣.

(٢٨٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٤.

(٢٨٤) ينظر: فعالية القراءة؛ محمد بن أحمد جهلان: ٥١.

(٢٨٥) ينظر: المصدر نفسه: ٥٢.

(٢٨٦) ينظر: المصدر نفسه: ٥٣.

(٢٨٧) ينظر: المصدر نفسه: ٥٤.

(٢٨٨) المصدر نفسه: ٥٥.

(٢٨٩) ينظر: المصدر نفسه: ٥٧.

(٢٩٠) ينظر: المصدر نفسه: ٥٨.

(٢٩١) المصدر نفسه: ٦٠.

(٢٩٢\*) لمصطلح "التكوثر" هذا، مبانٍ وثقافة عالية، ومعايير تتسم بأبعاد معرفية هادفة، قدّمها الأستاذ طه عبد الرحمن في

في كتابه: "اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي". ينظر: الكتاب المذكور: ٢١.

(٢٩٣) دراسات في تفسير النَّص القرآني. الأفهوم القرآني؛ محمد مصطفى: ٩.

(٢٩٤) من النَّص إلى الفعل؛ بول ريكور: ٧٠.

(٢٩٥) المصدر نفسه: ٧٠. بتصرف.

(٢٩٦) ينظر: في ماهية اللغة وفلسفة التأويل؛ سعيد توفيق: ٩٤، وانفتاح النَّص الروائي؛ سعيد يقطين: ٧٦، و١٥٠، وعلم

لغة النَّص؛ سعيد حسن بحيري: ١٤٦، و١٥٢.

وهل يصل الأمر بالانفتاح الدلالي والنصّي، إلى ما يقع عليه النظر من قراءة نصّ لـ"بارت" [في التحليل النصّي: ٢٤]: "لا توجد آلة لقراءة المعنى؛ حقاً توجد آلات للترجمة تحتوي الآن وستحتوي حتماً على آلات للقراءة،...". وأنساق تعدديّة المعنى في النصّ، والممكن منه في دلاليته وحركته، ورفض المدلول الأخير للنصّ، شهادة من أنظمة المعنى". [المصدر نفسه: ٣١، ٤٨، و٧٣]، كما سيأتي، أقول: رُبّما!... إنّه قائم على الإمكان!.. ولاسيما إذا قرأنا: "إنّ هذه العلاقة الجدليّة بين القارئ والنصّ تقوم على تنوّع النصّ من جهة، وتنوّع أحوال القارئ من جهة أخرى،...". [فلسفة التأويل؛ نصر حامد أبو زيد: ٢٩١]. ولقد يأخذ الانفتاح نفسه على نحو مبادئ في التحليل والكشف فـ"تودوروف" مثلاً يجعل من خصائص "التدليل والتّرميز"، فعلاً قرائياً مهمّاً لمعرفة ما يحدث عند القراءة، بل انفتاح النصّ على القراءة، حين مثّل "التدليل" في عبارة يسيرة مختصرة: أنّ التدليل هو لغة النصّ وكلماته، والوقائع التي فيه تدلّ عليها كلمات النصّ نفسها أيضاً، وهي تلك الأمور المرمزة، التي تؤوّل وتختلف تأويلاتها من شخص لآخر. [ينظر: القارئ في النصّ. مقالة: القراءة بناءً]: ٩٤. وكذلك فعل "انكارين" في "مفهوم اللاتحديد" حين جعل الموضوعات في إطار مرجعيّ ظاهراتي على واقعيّة ومثاليّة مستقلّة، فإذا كانت الموضوعات الواقعيّة ينبغي فهمها، والموضوعات المثاليّة ينبغي تكوينها، كلّ بشكل تامّ، فإنّ العمل الفني يختلف عن هذين النموذجين، وذلك لأنّه ليس محدداً بشكل عام ولا مستقلاً، بل هو قصديّ، ينقصه التّحديد الكامل، بمعنى أنّ كل عمل أدبيّ غير تام من حيث المبدأ، ويحتاج دائماً إلى تكملة إضافيّة، وفيما يتعلّق بالنصّ، لا يمكن لهذه التكملة، مع ذلك، أن تُتمّم أبداً. [ينظر: فعل القراءة؛ فولغانغ إيزر: ١٠٢-١٠٣]. وينظر: القارئ في النصّ؛ سوزان روبين سليمان: ٦٩، وتفسير النصّ؛ ديتريش بوتسه: ٢٥٥.

(٢٩٧) فلسفة القراءة؛ حبيب مونسى: ١٦٤.

(٢٩٨) \* يبدو لي ممّا غفد في "باب ما يُشترط على المفسّر من شروط وأداب"، في كتب علوم القرآن وفنونه، كما سيأتي، في مقارنة عامة، إنّما هو توصيف لما يجب على القارئ = "المفسّر" من امتلاك معرفيٍّ ومنهجيٍّ فعليٍّ لفعل القراءة والالتيات التي تعود إلى فهم النصّ وتأويله، وهي بالنتيجة صفاته ومؤهلاته، فإذا كانت هذه المعارف هي عبارة عن ممّول أساسيٍّ في الإدراك، فإنّ صاحبها؛ لكي يتّصف بالقارئ المنتج الفاعل، فإنّه لا محالة عليه أن يتصرّف بها بحسب الإرادة والفكر؛ كي يحصل على غاية وهدف من التفسير. أقول: إنّها صفات القارئ. صفات الباحث.

(٢٩٩) سيميائيات النصّ؛ سعيد بنكراد: ٣٧.

(٣٠٠) المصدر نفسه: ٣٥. وينظر: أسس علم لغة النصّ؛ مارجوت هاينه مان: ١٨٧.

(٣٠١) فهم القرآن؛ جواد كسار: ٢٢.

(٣٠٢) \* لمقاربة فاعليّة "التكوثر" القرآنيّ والفهم نصوصّ كثيرة تشهد على قيمة إجراء الفعل القرآنيّ بالسؤال، وعدم التوقّف بل الاستمرار؛ إرادة المعرفة، منها قوله تعالى: ﴿رُفِعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ شَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف؛ من الآية: ٧٦]. وقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل؛ من الآية: ٤٣]. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ ثُمَّ عَلَى قُلُوبِ أَقْبَالِهَا﴾ [سورة محمد، الآية: ٢٤].

وقول الإمام عليّ "A": "مَنْ تَرَكَ قَوْلَ لَا أَنْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ". [شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد: ١٨ / ٢٣٦]، وقوله "A" أيضاً: "وَلَا يَسْتَحِينُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحِينُ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ

يَتَعَلَّمُهُ،...". [شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٢٣٢]. وقول الإمام الباقر "A": في رواية عندما سُئِلَ: "أمن علمائها أم جهالها، قال: "لسْتُ من جهالها". وهكذا في كلِّ دهشة من جواب يتعجَّب السائل منه، يكون قوله "A"، كذلك. [موسوعة سيرة أهل البيت . الإمام محمد الباقر "A": ١٨ / ٦٧]. وأعظم بها إجابةً، يفتح فيها النَّصَّ على قراءات، وتكشف عن فاعليَّة فهم وتكاملٍ لا نهائيَّة. أقول: إنَّها مؤسَّسة من نظام جوهرية النَّصَّ القرآنيِّ أعلاه . النَّصَّ الأوَّل.

وكذا قول الإمام الصادق "A": "إنَّ هذا العلم عليه قفل مفتاحه المسألة". [منية المرید؛ الشهيد الثاني: ١٧٥، و ٢٥٩]. بل لعلَّ فيه ممَّا يمكن لنا أن نقاربه بقراءة النَّصَّ أيضاً، مع إمكان إحلال المتغيَّرات، هكذا: العلم = النَّصَّ. والمسألة = الوعي والقراءة؛ ليكون التَّصوُّر بالمفهوم: إنَّ لهذا النَّصَّ . أيَّ نصَّ كان . عليه قفل، يحتاج إلى مفاتيحه، وهي مبادئ المسألة التي تتجلَّى في أفعال القراءة، وآليات الفهم والتفسير، ولاشكَّ في أنَّ فاعليَّة هذه الإجراءات تقضي حتماً إلى نتاج، على قاعدة ما يستلزمه السُّؤال نفسه.

وفي طريقة من فعل منهج ورؤية قائمة على علم وقراءة، قول الإمام عليّ "A": "فالتَّأطُّرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأً عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ عَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَغْيِرُ عِلْمَ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ فَلَا يَزِيدُهُ بَعْدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ". [شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٧٨ - ١٧٩].

(٣٠٢) المرابا المحدبة؛ عبد العزيز حمودة: ٣٢٧.

(٣٠٤) القارئ والنص؛ سيزا قاسم: ٢٦٨.

(٣٠٥) اللغة والتفسير والتواصل؛ مصطفى ناصف: ١٩٤.

(٣٠٦) منطق فهم القرآن؛ الحيدري: ١ / ٢١٢ - ٢١٣.

(٣٠٧) اللغة والتأويل؛ عمارة ناصر: ٣٧.

(٣٠٨) في ماهية اللغة وفلسفة التأويل؛ سعيد توفيق: ٩٥.

(٣٠٩\*) أقول: بوعي وإدراك على طريقة من أنساق البيان في قول الإمام عليّ "A": "اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ، عَقْلٌ رِعَايَةٌ، لَا عَقْلٌ رَوَايَةٌ؛ فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ". شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد: ١٨ / ٢٥٤. وضع الخط هنا من تصرُّفي.

(٣١٠) نظرية النَّصَّ؛ سعيد النكر: ١٥٣. وينظر: مصدره أيضاً.

(٣١١) ينظر: القراءة؛ فانسون جوف: ١٤٣.